



مجلة فصلية تعنى بالشأن المسرحي بشكل عام والحسيني خاصة تصدر عن وحدة المسرح الحسيني في العتبة الحسينية المقدسة

العدد الأول

المسرح الحسيني



المسرح الحسيني

مجلة فصلية تعنى بالشأن المسرحي بشكل عام والحسيني خاصة تصدر عن وحدة المسرح الحسيني في العتبة الحسينية المقدسة

إشراف عام

السيد سعد الدين هاشم البنا

الهيئة الاستشارية

د.محسن القزويني

أ.د.عبود جودي الحلي

أ.د.محمد الخطيب

رئيس التحرير

رضا الخفاجي

مدير التحرير

طالب عباس الظاهر

سكرتير التحرير

عقيل أبو غريب

المشاركون

باسم الماضي الحساوي

مهدي هندو جاسم

حيدر عبد الخضر

نبيل نعمة الجابري

محمد الهجول

السيد هادي المدرسي

كاظم ناصر السعدي

كفاح وتوت

عباس جودة الطائي

عماد كاظم العبيدي

جاسم عاصي

عباس خلف علي

ياسر عبد الصاحب البراك

التنفيذ الطباعي: حيدر عدنان

التصميم و الإخراج الفني: حسين الاسدي



لماذا المسرح الحسيني؟

رئيس التحرير

المسرح الحسيني : مسرحٌ رسالي هدفه تقديم نموذج الحضاري الخلاق إلى العالم كونه يؤمن بأن المدرسة الحسينية تتوفر على منظومة فكرية خلاقة استطاعت أن تترجمها على أرض الواقع ، كموقع متقدم ، ضد كل اتجاهات الردة والتحريف وضد كل أشكال الظلم والباطل والعبودية ، من خلال العطاء اللامحدود الذي قدمه عشاق هذه المدرسة وأبنائها عبر مختلف العصور... ولأن الإسلام العظيم : مُحمدي الوجود، حُسيني البقاء، فقد آمن أبناء هذه المدرسة بجدوى أهمية وفاعلية ما هم مقدمون عليه - لكونهم يدركون خطورة وحيوية رسالة - المسرح .

- إن عوامل التأثير الجماهيري في الأسلوب الحسيني - المتوفرة على حركيه نوعيه خلاقه ... باستطاعتها إحداث المتغيرات الجذرية الكبيرة في بُنى المجتمعات ورؤاها ..

- تجعله الأكثر حيوية وبقاءً ، كونه يفتح باب التأويل والاجتهاد إلى أقصى مدياته ليواكب تطورات مختلف العصور وضرورتها ، مع الحفاظ على جوهر الصراع وتسييل الضوء على تضاداته الحاسمة التي ترفض النمط التوفيقي أو التحريفي أو التسويفي ، مهما كانت التبريرات والذرائع .

- إن حيوية الفكر الحسيني وحجم تأثيره على أرض الواقع كانت وما زالت وستبقى النموذج الأكثر فاعلية في أساط المجتمعات المسحوقة المتطلعة إلى التحرر من ربة العبودية .

لقد أدرك الطغاة هذه الحقيقة الكبيرة ، فراحوا ، وبكل أساليب البربرية والهمجية والجاهلية وبكل الحقد الدفين والخيانات المتوارثة ، يهاجمون بكل قسوة ووحشية هذا النهج النبوي المقدس ، كونه القادر على اقتلاع عروشهم من جذورها وإحداث الزلزال الأكبر في أسوارهم المحصنة بأسنة الحراب لذلك كان لابد لعشاق هذه المسيرة النورانية من المخلصين الأوفياء الذين - صدقوا ما عاهدوا الله عليه- أن يواصلوا عطاءهم المضغ بدمائهم ليؤكدوا للعالم بأن مسيرة العطاء السائرة على نهج سيد الشهداء - الحسين الخالد - قادرة على المواصلة والمطالبة والمقارعة مهما كانت التضحيات.

واليوم .. وبعد أن قُبرت الديكتاتورية المقيتة - في بلاد الرافدين - بلاد الحضارة الإنسانية الرائدة وأشرقت شمس الحرية .. وبعد أن قطف المؤمنون ثمار تضحياتهم ألا يحق لهم أن يؤسسوا مسرحاً يليق بعطاء وتضحيات ومكانة سيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء ، بعد سنوات طويلة من التغيب والتحريف والتشويه المتعمد .. والإرهاب السلطوي المنظم المدعوم من قبل أجنداث إقليمية ودولية معروفة ..

نقولها بكل يقين .. نعم سنقدم المدرسة الحسينية إلى العالم عبر جميع قنوات المعرفة وفي مقدمتها المسرح ! لكي يطلع العالم على جدوى هذا السفر المبارك القادر على إيجاد الحلول الجذرية لمشاكل العصر ومآسيه والوصول بالشعوب المضطهدة إلى مرافق السعادة الحقيقية والكرامة الإنسانية بأسلوب شفاف يُبتعد عن النفس الطائفي المتشجج ويتوفر على الإبداع والمعاصرة والإدهاش والمتعة ، متوكلين على الباري حلت قدرته وعلى المبدعين المخلصين لنهج محمد وآله الطيبين الطاهرين والحمد لله رب العالمين.

الإمام الحسين (عليه السلام)

في الميزان الفلسفي للشهادة

باسم الماضي الحسناوي

لكون والوجودات أجمع، فإذا ما أصبح الإنسان بهذا المستوى من الإندماج بالنظام الكوني العام، لم يعد بالإمكان مقارنة معناه بالوسائل المعروفة بالنسبة لذوي المراتب المعنوية الدنيا، إلا بأن يقال لهم ما جاء في الآيتين بعد الآيتين السابقتين: ((الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَانِ مِنْ تَآوُفٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (٣) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ حَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ)) (الملك).

الموت شقيق الحياة في الإسلام، بل قل هو وجهها الآخر، أو قل إن للموت وجوداً مرآتياً بالنسبة للحياة، أي إن الحياة ترى ذاتها في الموت، أو تتبع منه في بعض الأحيان بشكل مباشر، فلا تحتاج إلى واسطة في البين، أو يكونان معاً بمعنى واحد، إذ يكون المركب منهما حياةً من نمط غير مألوف بالنسبة إلى أغلب البشر، إلا أن يكونوا من الأنبياء أو الأوصياء أو الصديقين الكبار.

هل كان الحسين يخاطب خصومه في يوم عاشوراء وهو خائف على نفسه وعياله مثلاً، بالرغم من أنه بشرٌ بالتأكيد، ولا يتجرد من حب نفسه وحب عياله وسائر ذويه قطعاً، لكن قائمة الأولويات لدى الحسين تختلف في ترتيبها ونظامها عن قائمة أولوياتنا نحن ورتبها، ولهذا فإنه قادرٌ على أن يعيش الحالة الشعورية العليا المختلفة عن حالاتنا الشعورية كلها، فهو يقدر

إنَّ للموت فلسفةً في الإسلام، وأنَّ للحياة فلسفةً كذلك، وأنَّ فلسفة الموت لا تتقاطع مع فلسفة الحياة في الرؤية القرآنية المباركة، آية ذلك أن الله سبحانه يقول: "تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (١) الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَسْأَلُكُمْ أَنْتُمْ أَحْسَنَ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ (٢)" سورة الملك.

فالموت والحياة كلاهما واقعان في مسيرة الإختبار للإنسان، حتى تظهر مكنوناته الإلهية العظيمة التي جعلها الله موجودةً فيه بوصفها استعدادات أو وجودات بالقوة، تحتاج منه جهداً وبذلاً للطاقة المعنوية والروحية الكبيرة حتى تظهر وتتنجس وتصبح واقعاً، فإذا ما وصل الإنسان إلى مرتبة من هذه المراتب العالية أصبح جزءاً لا يتجزأ من صيرورة العالم المعنوية والروحية السائرة نحو الله سبحانه، وهو بهذا السلوك وحده يحقق المقدر اللازم من الإنسجام مع النظام العام

لموت نحو جوهر الحياة باستشهاده في كربلاء، أي أنه لم يبق على الموت موتاً، بل سار به حثيثاً نحو الحياة، فوحد بينهما في صيرورة أبدية لا تقبل التفكيك، لأنهما أصبحا بمثابة مركب كيميائي واحد مؤلف من عنصرين، عنصر الحياة في سبيل الموت الأكثر تعلقاً بحياة الإنسان، وعنصر الموت في سبيل الحياة الأشد تمسكاً بنجاة الإنسان من أسباب الدناءة والإنحطاط.

ليس هذا فقط، فما أكثر من يقومون بهذا العمل على قتلهم في كل زمان على حدة، لكنهم يبلغون كثرة عددية لا بأس بها خلال الحركة العامة للتأريخ الإنساني الطويل، لكن الحسين لم يكن معترضاً على أن يقوم بهذه التضحية في سبيل هذا المعنى بأقل اعتراض، بل كان خائفاً على مصير قاتليه، وحريصاً على نجاتهم من هاوية الإنحطاط أكثر من حرصهم على مصالحهم الدنيوية الخاصة التي هي قصيرة الأمد مع ما تطوي عليه من أسباب الهلاك الأبدية بالنسبة إليهم، فكان أباً مشفقاً على الخصوم أنفسهم، فتصرف معهم كما لو أنهم أبناء عاقون متمردون، وليس كما لو أنهم أعداء يستحقون منه تمنيات الهلاك والقضاء التام عليهم، مع أنهم مستحقون لكل هذا لو عاد الأمر إلى تحكيم معايير الحق والباطل، فهم قتلة مجرمون طامحون إلى رضا السلطان الجائر ولو بقتل الأوصياء من أولاد الأنبياء في نهاية المطاف.

عندما عزم القوم على سفك دم الحسين في العاشر من محرم، ركب الحسين راحلته وخطب فيهم قائلاً: "أيها الناس انسيبوني من أنا ثم ارجعوا إلى أنفسكم وعاتبوها وانظروا هل يحل لكم قتلي وانتهاك حرمتي؟" (٢).

فتخيل معي أيها القارئ أنك في ذلك الموقف، حيث تشاهد الحسين يخطب على الخصوم بهذا الكلام، فهل تحس أن في هذا الأسلوب خوفاً على الذات من القتل، كلا طبعاً، بمساعدة العديد من القرائن التي سترد خلال البحث، بل إن الحسين خائف على مصائر القوم لا غير، فهو يتكلم لا كلاماً مطلقاً بدوافع البشر العاديين، بل بدوافع الإمام المكلف بإنقاذ البشر من موارد الهلكة الحقيقية بالذهاب إلى نار جهنم، فليس المهم في نظره أن يموت أو أن يعيش هو بالذات، ولكن المهم أن لا يرتكبوا الجريمة الكبرى في قتل شخص وصي من نسل نبي

أن ينظر إلى رأسه المقطوع المعلق على قنطرة الرمح ويبتسم، لأنه يشاهد الحقيقة الغائبة عنا حين نتخيل رؤوسنا المقطوعة وهي معلقة على الرماح، وقل الشيء نفسه عن مشاهداته الأخرى للمآسي التي تكتنف أبناءه ونساءه وإخوانه وأصحابه وكل من يمت إليه بصلة على الإطلاق، فهو يهنتهم في مقام نتعجب نحن من أنه يقدم التهئات للصرعى والأسارى فيه، لأنه يشاهد ما لا نقدر نحن أن نكون عنه صورة في الخيال حسب، ولأنه يعيش العالم بوصفه وجهاً آخر لهذا العالم، هو الوجه المعنوي والروحي، أو هو الوجه الإلهي بأدق وصف، وإن هذه هي حقيقة العالم في نظر شخص إلهي مثل الحسين، أما نحن فواحسرتاه على أنفسنا، إذ لا نشاهد إلا هذا الوجه المادي المحدود الموصوف بأبشع الأوصاف وأدناها وأقهرها على لسان الأناس الإلهيين من طراز الحسين: "أيها الناس إن الله تعالى خلق الدنيا فجعلها دار فناء وزوال متصرفة بأهلها حالاً بعد حال، فالمرور من غرته، والشقي من فتنته، فلا تغرركم هذه الدنيا، فإنها تقطع رجاء من ركن إليها، وتخيب طمع من طمع فيها، وأراكم قد اجتمعتم على أمر قد أسخطم الله فيه عليكم، وأعرض بوجهه الكريم عنكم، وأحل بكم نعمته، فتعم الرب ربنا، وبئس العبيد أنتم" (١).

كم كان الموقف محرراً للتأريخ، ليس التأريخ المنظور فحسب، بل أعتقد أنه كان محرراً للتأريخ غير المنظور أيضاً، أي أن موقف الحسين من القتل كان محرراً حتى بالنسبة للذين لم يشاركوا فيه، ولم يكونوا حاضرين في ذلك الزمان الذي قتل فيه، فمن آدم إلى آخر إنسان يوجد على هذه الأرض لا يمكن أن يوجد أحد منهم بمنجى عن الشعور بهذا الحرج، ليس لأن الحسين قتل وكفى، فإن حوادث القتل تجري في العالم بشكل دوري متصل، بل إن القتل في زمننا الحديث هذا لتزداد بشاعة وكثافة وخروراً على الأناس المألوفة للقتل في كل يوم، ومع ذلك، فإن الحرج الأكبر الذي لا يدانيه في التصور حرج آخر أكبر منه هو قتل الحسين، فلنا أن نتساءل إذاً عن السبب الذي من أجله أصبح قتل الحسين محرراً للإنسان في التأريخ بشكل عام إلى هذا الحد، بحيث لم يعد ممكناً لذاكرة الإنسان أن يغادرها قتل الحسين في لحظة من لحظات الزمان.

أعتقد أن السبب هو أن الحسين رسم خطأ بيانياً تصاعدياً

هم إلا ملوك كسائر الأكاسرة والقيصرية، وليت شعري هل رأى الحسين جالساً على عرش ملك في بلاط فخم، أم هل رآه سائراً في موكبٍ وخلفه القيان والعبيد كما هو حال الملوك الذين استعمروا لقب الخلافة في التأريخ الإسلامي المزيف، لكنها الأطر الذهنية الضيقة، والأنفس المريضة التي لم تشأ أن تتخلص من ترسبات التفكير الجاهلي المقيت، بالرغم من أنها زامت الوحي وعاشت التفاصيل الأولى للرسالة، فبقيت على حالها تحسب الأنبياء أكاسرة، والأوصياء ملوكاً محجّبين بلا أدنى فرقٍ بين أولئك وهؤلاء.

لكنّ هذا الرجل الذي تركّز في نفسه أمراض العصر الذي عاش الحسين فيه لم يكن مجرداً من الشعور الغامض بموجبات الشرف، فهو يعترف بجرأة أمام الحاكم الغاشم بأن من أقدم على قتله إنما هو خير الناس من جهة الأم والأب معاً، لكنه لا يخرج عن دائرة الملوك الدنيويين بالطبع، فالإطار الذهني العام لهذا الرجل وأمثاله، وهم أغلب أهل ذلك الزمان يقضي بأنّ ذا الحق في الطاعة كالحسين وإن كان وصياً لا يمكن أن يُعامل إلا معاملة الملوك، فلو فرضنا أنّ الحسين مارس دوره الإلهي في الخلافة الزمنية لكان هذا الرجل متملقاً للخليفة الذي هو الحسين ليس إلا، من منطلق أنه الملك الحاكم، وليس من منطلق أنه الخليفة الإلهي الذي أوجب الله طاعته بمنطق الأوصياء المعصومين، وليس بمنطق الملوك الدنيويين المستبدّين في الغالب.

ثمّ إنه يطالب بالثمن، يطالب بأن يملأ ابن زياد ركابه فضة أو ذهباً، فما أغباه من بائع لدينه بدنياً غيره، وما أحفل ابن زياد بذكاء عقله وإن كان مجرماً، إذ أمر بقطع الذي فيه عيناه، لأنه إن كان يعلم أنّ من أقدم على قتله هو خير الناس أمأ وأباً، فلماذا قتله إذن، ولماذا يفتخر الآن أمامه بقتله.

لكن برّبك يا ابن زياد، أليس حالك مثل حال هذا الرجل القاتل في الباطن، أو لست تعلم علم اليقين أنك سيّرت الجيش العرمرم لقتل من تؤمن أنه خير الأولين والآخرين في زمانه، أم أنك تحاول أن تقنع نفسك بسفسطة واضحة أنك لا تعلم بهذه الحقيقة البيّنة الجليّة.

الحسين رحمة للناس ومجال واسع للمغفرة، فهو لا يريد للناس إلا النجاة، النجاة على صعيدين، صعيد الحياة الدنيا

مثله، فيكونوا مستحقين لعذاب الله الخالد في جهنّم، وهذا واضح من قوله: "ألست ابن بنت نبيكم وابن وصيه وابن عمّه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسوله بما جاء من عند ربه؟ أو ليس حمزة سيد الشهداء عمّ أبي، أو ليس جعفر الطيار عمّي، أو لم يبلغكم قول رسول الله لي ولأخي: هذان سيّد شاب أهل الجنة؟" (٣). فمن كان منجداً من سلالة المؤسسين الأوائل لدين الإسلام، ومن كان حائزاً على أفضل الأوصاف على لسان صاحب الرسالة، بل من كان سيّداً لكل أهل الجنة بلا استثناء يامضاً من النبي الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى كيف يحلُّ قتله، وهتك حرمة، ودوس جسده الشريف بسنابك الخيل، وليس هذا مهماً في جنب دين الله طبعاً، لكنّ المشكلة تتمثل في أنّ من يشهدون بأنّ هذا الدين حقّ بألسنتهم هم من يقومون بهذا العمل الشنيع، وهم يزعمون أنما ينفذون تعاليم الإسلام، الإسلام الذي يُعدّ الإيمان بالحسين واحداً من أركانه الرئيسية، تلك هي المفارقة.

كان الحسين حزيناً للغاية على مصير الأعداء، أسفاً على أنهم ذاهبون إلى جهنّم بوزر دمه، ومع ذلك، لم يشملهم بدعاء جدّه النبي "اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون" فالحنّة الحقيقية تتمثل في أنهم يعلمون حجم الكارثة في قتل الحسين، ولكنهم طامعون برضا السلطان الجائر، ومنفذون لأوامره على حساب الأمر الإلهي بأن يطيعوا الحسين، أو أن يحجموا عن قتله وانتهاك حرماته على الأقل، وإلا فماذا يقال عن ذلك الشقي الذي يفتخر بأنه ساهم في قتل الحسين أمام عدوّه اللدود:

**إملاً ركابي فضة أو ذهباً
فقد قتلت الملك المحجّبا
قتلت خير الناس أمأ وأباً**

ها هنا تكمن الحنّة الحقيقية في تكبير أهل ذلك العصر، فما زال هذا الرجل الذي يمثّل عينة مهمة تعكس طراز التفكير في رؤوس الجماعات التي اعتنقت الإسلام ظاهراً ولم يتغلغل الإيمان في قلوب أفرادها، مازال على جاهليته الأولى بالرغم من أنه نطق بالشهادتين، فأبي فرق بين نمط التفكير الجاهلي القبلي المتعجرف وبين هذا النمط من التفكير في رأس هذا الإنسان النطق الجاهل، فالحسين ملك له حجاب لا أكثر ولا أقل، ما شاء الله على هذا التصور الذي يتخيّل الأوصياء إن

أن يحصل على مزيد من الأنصار من أجل الحفاظ على حياته والانتصار العسكري على الجيش اللجب للطغاة.
 "وما هي يا ابن رسول الله" سأله الرجل.
 فأجاب الحسين: "تنصر ابن بنت نبيك وتقاتل معه".

هذا هو ثمن غفران الخطايا، وإياك أن تخلط الأمور حابلها بنابلها فتقول: إن أسلوب الحسين هو عينه أسلوب رجال الدين في المسيحية أو في الإسلام، حيث يطابقون بين مراداتهم الشخصية ومراد الله، لأن الحسين ليس كرجال الدين العاديين في كل الأحوال، بل هو رجل الدين الحقيقي المعين من الله، وبنص رسول الله، فهو معصوم بهذا المعنى، فرغبته لا يُتصور أن تكون نابعة من هوى شخصي على الإطلاق، إنها بالفعل تعبر عن مراد الله ولا تحرف عنه مليمترًا واحدًا ولا أكثر من ذلك ولا أقل، هذا بالنسبة لمن يؤمن بالإسلام بوصفه دينًا إلهيًا واقعيًا، أما من لا يؤمن بالدين، ولا يعتقد أن الله أنزل شيئًا بوحيه في يوم من الأيام، فمن الطبيعي أن لا يعنيه هذا الإستنتاج، فالكلام معه على صعيد آخر، وليس على هذا الصعيد بالقطع.

قال الرجل: "والله إنني لأعلم أن من شايحك كان السعيد في الآخرة، ولكن ما عسى أن أغني عنك ولم أخلف لك بالكوفة ناصراً، فأنشذك الله أن تحملني على هذه الخطئة، فإن نفسي لا تسمح بالموت، ولكن فرسي هذه ((المحلقة)) والله ما طلبت عليها شيئاً إلا لحقته، ولا طلبني أحد وأنا عليها إلا سبقته فخذها فهي لك".

إن هذه الإجابة تعكس الإستراتيجية المتأرجحة بين الرغبة بالحياة تحت أي شرط كان، وبين الرغبة بالمساهمة في وضع لبنة من اللبنة في بناء صرح الخير، وبحكم أنها متأرجحة فإنها تنزاح نحو الموقف المتهاون دائماً.

إن الرجل لم ينتبه إلى حقيقة أن الحسين ليس بحاجة إلى مثل هذا التبرير منه، فكونه لم يخلف له في الكوفة ناصراً متضمن في عبارة الحسين الآتية، إذ قال له عن الموقف في الكوفة:
 "وليس الأمر كما زعموا" فكان عليه أن يرتقي قليلاً إلى الأفق الكبير الذي يتحدث به الحسين، لكن رغبته بالحياة تحت أي شرط كان حجبت عنه الإنتباه إلى هذه الحقيقة.

لقد كان الحسين يتحدث بمنطق الأوصياء، أما الرجل فقد كان

وصعيد الآخرة، أما النجاة في الدنيا فمن المؤكد أن الحياة الدنيوية الوبيلة إنما هي مع الظلمة وأعوانهم "لا أرى الحياة مع الظالمين إلا برماً"، وأما على صعيد الآخرة، فأية سعادة أكبر من أن يُقتل المرء مع وصي معصوم كالحسين، ومن قَدَّم دمه مع الحسين وبين يديه برهن بشكل قاطع على أن ذنوبه مهما بلغت كثرة لم تكن عن إصرار واستهانة بشرع الله، لأنه تأثب عنها، راغب بأن يسود منهج الحياة لا على أساس تلك الذنوب، بل على أساس ما يرسمه دم المعصوم من منهج الخير والعصمة للناس، وفي هذا وحده ما فيه من البرهان على أنه يستحق غفران الخطايا وشموله بالرحمة الإلهية الواسعة.

أنظر إلى الحسين وهو في مسيره إلى كربلاء، كيف يلتقي ببعض الناس ممن عرفوا حقَّ الحسين ومنزلته الرفيعة في الإسلام، فيحدثهم عن عزمه، ويعرض عليهم نصرته، ليس من أجل شيء شخصي خاص به طبعاً، لكن من أجل شيء آخر متعلق بهم هم، شيء له علاقة وطيدة بنجاتهم الأخرية وغفران خطاياهم وذنوبهم التي ارتكبوها بضعف نفوسهم في آفات حياتهم التي لم تمتلئ بخشية الله، فإن نصرته استحقوا غفران كل ذلك، بوصف الحسين منهج الله الخالص من كل شوائب المشاريع الشخصية والأنانية والانتهازية الضيقة مما يسعى إليه الناس ويقتلون من أجله، فإذا يلتقي بشخص اسمه عبيد الله بن الحر يحدثه: "يا ابن الحر إن أهل مصركم يقصد الكوفة" كتبوا إلي أنهم مجتمعون على نصرتي وسألوني القدوم عليهم وليس الأمر على ما زعموا، وإن عليك ذنوباً كثيرة، فهل لك من توبة تمحو بها ذنوبك؟" فهذا هو الهدف إذن، أن يحصل هذا الشخص الذي لا يعدم نوايا الخير على المستوى النفسي العميق على فرصة لغفران خطاياهم ليس إلا، فإن الحسين مقتول لا محالة، وهم يعلم بهذه النتيجة بغض النظر عن القول بعلمه بوسائل العلم الخاصة بالأئمة المعصومين حتى، يعلم هذه النتيجة من خلال القرائن العديدة التي عرف الناس العاديون أن الحسين مقتول لا محالة بناءً على تتبعها وقراءتها، بل إن هذا الرجل المرتكب للذنوب في حياته بشهادة نص الحسين يعلم ذلك، وهو واثق من هذه النتيجة التي سينتهي إليها الحسين في رحلته كما يتضح من تضاعيف القصة، فهل يجوز لنا أن نقول إن هدف الحسين هو

يتحدّث بمنطق الدبلوماسيين الضعفاء.

أما فرسه، فقد كانت أحقّ منه بما ألحق بها من الأوصاف، لكن ما الفائدة، فكان الأفضل أن يكون الفارس فوق الفرس هو من يتّصف بتلك الأوصاف أولاً، كي تكون قيمتها متحققة فعلاً في الفرس بعد ذلك.

قال الحسين: "أما إذا رغبت بنفسك عنا فلا حاجة لنا في فرسك ولا فيك".

لكنّ الحسين لا يتخلّى عن شعور الأوصياء في هذه اللحظة، فيقدّم نصحه للرجل وإن كان مقصراً، فهو يريد له النجاة من النار على كلّ حال، فواصل كلامه: "وإني أنصحك كما نصحتني، إن استطعت أن لا تسمع صراخنا ولا تشهد وقعتنا فافعل، فوالله لا يسمع واعيئنا أحدٌ ولا ينصرنا إلا أكبه الله في نار جهنّم" (٤).

لم يكن الحسين قاصداً لنوع من الأهداف التي يتوخّاها الثائرون عادةً، أي إنه تأثر من طراز خاص جداً، فلم يحفظ التاريخ لنا مشهداً ثورياً كمشهد الحسين من جهتين، إحداهما تناقض الأخرى تناقضاً ظاهرياً بحسب التصوّر الإنسانيّ البسيط الذي لم يرقّ بعدُ إلى مستوى ما يفكر به الأنبياء والأوصياء، وهما:

الجهة الأولى: إصرار الحسين على المضيّ بالثورة ووضع خطّتها وهندسة أحداثها كما لو أنه طالبٌ لقلب نظام الحكم الأمويّ بهذه القدرة العسكرية البسيطة، وتلك حماقةٌ لو فُكر بها إنسانٌ عاديٌّ لكان موضع السخرية والإستهزاء من الجميع، فما بالك بوصيٍّ أمميٍّ مثل الحسين. أو كما لو أنه طالبٌ للانتحار، وتلك فكرةٌ لا يمكن أن تطرق ذهن الحسين، وإن كان ممكناً أن تطرق أذهان غيره من ذوي الأنفة والعزّة والشعور بعلوّ النفس، لأنّ الحسين رجلٌ ربانيٌّ من طراز الأوصياء الإستثنائيين في تاريخ الديانات، ومن كان هذا شأنه لا يمكن أن ينظر لى الأمور من زوايتها الضيقة هذه، كما أنّ قرائن عديدة لا تُحصى كثرة تتف بالصدّ من هذا الإستنتاج الذي لا يصحّ، منها:

أولاً: إنّ الحسين عاش فترةً طويلةً قبل النهضة قاربت العشرين عاماً كان فيها ملتزماً بقرارٍ إلهيٍّ آخر، وقد عاش حياةً عاديةً بكلّ المقاييس، ولم يُؤثر عنه أنه تحرّك تحرّكاً عسكرياً أو أنه فُكر بالتحرّك العسكريّ مع أنه كان إلى سنّ

الشباب أقرب، ومع أنّ الدواعي النفسية التي تحرّض ذوي الشعور بالأنفة العادية كانت موجودةً بصورة أقوى، فما باله لم يفكر بالإنقلاب على الحكومة في تلك الفترة ولو من باب الخلاص من هذه الحياة التي أجبرته على أن يكون في موقع دون ما يستحقُّ بكثير؟.

ثانياً: إنّ الحسين كان ربانياً وإلهياً أكثر من أيّ شخصٍ آخر في زمانه، وهذا هو القدر المتيقّن الذي يمكن تحصيله بحسب القاسم الإعتقاديّ المشترك بين المذاهب الإسلامية وغيرها، فكيف يصحُّ أن يُقال عن غيره من ذوي التفكير الإلهيِّ من الصحابة وغيرهم أنهم تجنّبوا التفكير المخالف لمقتضى الشريعة الإسلامية في حين يُقال بشأن الحسين عكس ذلك؟. إنّ تلك فكرة غير معقولة بالمرّة، خاصّةً مع علوِّ شأن الحسين، والمكانة الكبيرة التي كان يحظى بها في المجتمع الإسلاميّ، كونه يمثّل الإمتداد الوحيد الباقي للرسول الأعظم في ذلك الزمان.

ثالثاً: إنّ كلمات الحسين العديدة في المناسبات التي جمعتها بأهل بيته وأصحابه وبالأخريين ممن تصوّروا أنّ الحسين غافلٌ عما هو موجودٌ في أذهانهم حول عدم تمكّنه من قلب نظام الحكم، وعدم وفاء من بايعه على النصرة إلخ، تبين بوضوح أنه كان يقصد شيئاً آخر لا يمكن لهم أن يستوعبوه حالياً فضلاً عن أن يكون موجوداً في أذهانهم بالمرّة، ولذلك فإنه اكتفى بأن تكلم معهم بعبارات موحية مكثفة تكتنز المعنى للتأريخ، وتجعل الأعمى منهم يفهم المغزى الحسينيِّ ولو بصورة شاحبة، إلا أهل بيته وأصحابه طبعاً، فقد استطاعوا أن يرتقوا إلى أفق الحسين ولو بصورة إجمالية غير مفصّلة، لأنهم تخلّصوا من حجاب الأنا أولاً، ولأنهم وطنوا أنفسهم على طاعة الحسين وعدم التخلّي عنه إلى النهاية.

الجهة الثانية: هذه الجهة هي التي تتسجم مع الوقائع في تفسيرها المنطقيّ المعقول، إذ يقال إنّ الحسين شاء أن يقوم بدور إلهيٍّ مسندٍ إليه، وأن يرسم الخطّ الهندسيّ الذي يتألّف منه صرح الإنسان في المستقبل البشريّ كلّ، حيث تبدأ نقطة الإنطلاق الحقيقية نحو المشروع المهديّ من الحسين، فالحقُّ أنّ الحسين واضعٌ في ذهنه قضية الإنتصار حتماً، ليس الإنتصار المعنويّ فقط، بل الإنتصار العسكريّ والماديّ أيضاً،

فهل كان الحسين راغباً بأن يكون طابع ثورته هو هذا، فإذا قيل نعم، فإن لنا ردوداً ومناقشات خائفةً تفند هذه الموافقة وتؤيد ما نقول من أنه لم يكن طابع النهضة الحسينية بناءً على ما يتوفر في التأريخ العام عنها من المعلومات المعروفة للجميع تقريباً، إلا أننا نختار المناقشة هنا من منطلق التحليل الخاص بنا فنقول:

أولاً: ما ذكره الشيخ مطهري في كتابه ((حقيقة النهضة الحسينية)) من أن ثورة الحسين لم تكن وليدة الانفجار النفسي من كل الجهات، بناءً على أن الإسلام يختلف عن بعض النهضات التي تحدث نتيجة الانفجارات الخاصة، كالثورات الشيوعية التي حدثت في بعض البلدان "إن الإسلام لا يؤمن مطلقاً بمثل هذه الثورة، وقد كانت الثورات أو النهضات الإسلامية كلها وليدة وعي وإدراك كاملين للمواقع التي جاءت لتغييرها، وإن ثورة الحسين لم تكن وليدة الانفجار، ولم تكن عملاً بعيداً عن الوعي، ولم تنشأ نتيجة نفاذ صبر الحسين بسبب الضغوط الكثيرة التي كانت تمارس من قبل الأمويين وعمالهم أيام معاوية وابنه يزيد بحيث تؤدي به إلى أن يثور ويقول: فلا تُرث وليكن ما يكون، كلا لم تكن نهضة الحسين بمثل ذلك، ويدل على هذا الرسائل المتبادلة بينه وبين معاوية وابنه يزيد من بعده، بالإضافة إلى الخطب التي أوردتها في مجالات مختلفة خاصة تلك التي خاطب بها أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وهم مجتمعون في منى" (٥).

ثانياً: إن الحسين واصل دعواته لأصحابه وأهل بيته على السواء كي ينسحبوا من المعركة قبل حدوثها، وقد حرّضهم على ذلك مراراً حتى اليوم الأخير قبل الواقعة، فإذا نظرنا إلى كيفية تعامله مع أصحابه أثناء عزمه على القيام نرى أنه يتحاشى الاستفادة من أي عامل من العوامل التي تؤدي إلى حدوث الانفجار النفسي والعاطفي، ولا يسمح بأن تتطبع نهضته بالطابع الانفجاري "انظر حقيقة النهضة الحسينية، ص فالهسين يؤكد لهم جميعاً أنه يتحمل نتائج قراره الإلهي وحده، وأنهم قد أدوا ما عليهم من إسقاط الفرض عليهم بنصرته، فمن شاء منهم أن ينصرف من ساحة المعركة قبل حدوثها فلينصرف ولن يكون معاتباً، فكان الجميع يأبون ذلك ويصرون على خوض المعركة بنفس الاستعداد الحسيني

لكن ليس على مستوى زمانه الذي أدت أحداثه إلى أن يخوض معركة كربلاء، بل على صعيد المجموع الكلي لأنات الزمان. معنى ذلك أن الحسين قرأ التأريخ كله بعينه الإلهية النبوية، بألفية شخص كان الله قد أناط به مهمة حركة التأريخ المستقبلي للإنسان من نقطة الزمان التي تحرك فيها إلى آخر لحظة يستمر فيها الإنسان على سطح هذه المعمورة بالوجود. ومعنى ذلك أيضاً أن كل حركة تستهدف تغيير الواقع الإنساني بإخلاص إلى الأفضل تدين بالجزء الأهم منها لتلك السويحات الصعبة التي خاض فيها الحسين وأهل بيته وأصحابه معركة التأريخ القادم بصورة كلية وشاملة. الطمأنينة والإستقرار النفسي في قلب الإمام الحسين وقلوب أصحابه.

نحن في هذه الفقرة نستهدف أن نلقي ضوءاً يسيراً على نقطة هي في غاية الأهمية من وجهة النظر الخاصة، لأن لها علاقة بالفقرة السابقة من جهة أنها تدعم الفكرة القائلة بأن الحسين لم يكن يفكر بالطريقة المألوفة لدى الثائرين على أنظمة الحكم عبر التأريخ، بل كان نسيج وحده، كونه شخصاً إلهياً من طراز الأوصياء.

إن الذين يحاولون أن يقرأوا قضية الحسين على عجل يتوصلون إلى نتائج بعيدة عن فلسفة النهضة الحسينية بالكامل، بل ربما كانت تناقض تلك الأهداف وتسير بالنسبة إليها في الإتجاه المعاكس.

لوقيل على سبيل المثال إن النهضة الحسينية ما كان لها أن تكون لو لم يكن الحسين ذا مزاج ثوري حاد بالعكس من المزاج النفسي الخاص بالإمام الحسن، أو أن ثورة الحسين ما كانت لتتبلور بهذه الطريقة لو كانت الحالة الاقتصادية للأمة في تلك الآونة على ما يرام... إلخ من هذه الأقاويل التي تسقط على النهضة الحسينية التفسيرات والتأويلات والمقولات الفلسفية والإيديولوجية التي انطلقت منها حركات التغيير في العالم المعاصر، فلا يمكن مع هذا الإسقاط أن نصل إلى معنى تحليلي تفصيلي تأويلي صحيح للنهضة الحسينية على وجه الإطلاق.

كثيراً ما تنتفض الشعوب، وكثيراً ما يركب موجتها الإنتهازيون الذين يتمظهرون بمظهر الثوريين الساعين إلى التغيير بالطبع،

أصحابه الصغار بكلمات الرضا والحب والدعاء قبل أن يأذن لأيٍّ منهم بالخروج للقتال، وكان الجميع مطمئناً إلى درجة عجيبة. الحسين مطمئنٌ إلى أنه يقوم بأضحكم عملٍ إلهيٍّ في التأريخ الماضي والحاضر والمستقبل، والأطراف الأخرى بمن فيهم الأطفال الصغار هم على هذه الدرجة من الطمأنينة كذلك، فتكاد تسمع من جميعهم أشعاراً وعباراتٍ تتمُّ عن هذا الإدراك اللإعتياديّ طبقاً لكلِّ المعايير التي تحكم الطفل الصغير مهما كان ألعياً وتلوح على سيماؤه أمارات العبقريّة.

بل إنَّ الأمر ليبدو مسانخاً لما نسمع عنه أو نقرأ من الأحداث الأسطورية في أشعار أصحاب الملاحم، مما يتخيَّله الشعراء العظام عادةً ولا يكون ضرورياً أن يوجد في الواقع من وجهة نظرٍ فنيّة، وإلا فأَيُّ قلبٍ مطمئنٌ صبورٍ هذا الذي تحمله السيدة زينب، وهي التي هامت بحبِّ أخيها الحسين إلى درجة أنها تتفضّل طاعته على حياة بنيتها وحياتها هي بشكلٍ خاصٍّ، فتراها قد وقفت على عرصات كربلاء في اللحظات الأولى لمصرع الحسين، فتدنون من جثمانه الشريف، وترفعه قليلاً عن سطح الأرض، لتقول في دعائها: اللهمَّ تقبَّلْ منا هذا القربان القليل.

إنَّ هذه المهمّة التي قام بها الحسين مهمّةٌ تمتدُّ إلى أعماق التأريخ، من جهة أنها استبطنت في داخلها كلَّ توجُّهات الأنبياء والأحرار في التأريخ السابق للحسين، كما أنها تحتلُّ المسافة الممتدّة إلى آخر يومٍ من أيام التأريخ، من جهة أنها لم تكن ناظرةً إلى هدفٍ قصير الأمد أو ضيق الأفق في ذلك الزمان، بل كانت تستهدف الإنسان بشكلٍ عامٍّ بغضِّ النظر عن الزمان والمكان، وهذا هو ما منح النهضة الحسينية معناها الكبير في الواقع.

لقد كان الحسين يقاتل باسم جميع المظلومين والمنتكسين والمحرومين في التأريخ، بتخطيطٍ بارعٍ منه أولاً، وبمؤازرةٍ لا مثيل لها من قبل عددٍ محدودٍ من أهل بيته وأصحابه ثانياً، مضافاً إلى ما وفّرتّه العناية الإلهية للنهضة الحسينية من أسباب الخلود والإنتشار.

لماذا نقول إنَّ شهادة الحسين انتصارٌ للإسلام؟

لننساءل، هل إنَّ حياة الإمام أفضل من جهة ما يتوقَّع منه أن يقوم بتحقيق مستوى أعلى من التوافق بين أعمال الناس

للقاء الله، فكانت تلك المواقف التي روتها كتب المقاتل المختلفة شاهداً حياً على اطمئنان الحسين واطمئنان أصحابه، حتى أنّ أحدهم يجد من المناسب أن يكثر من المزاح في ذلك اليوم العصيب، ويقول في الردِّ على من أنبه على ذلك "بل هذا وقته، فما هي إلا أن يميل القوم علينا بأسياضهم حتى نعانق الحور العين" اللهوف في قتلى الطفوف ابن طاووس ص 58. إلى غير ذلك من المشاهد المؤثّرة، والتي يصبُّ مفادها جميعاً في تأييد هذه النتيجة.

ثالثاً: ليس من شكٍّ أنّ فاجعة الحسين كارثيةٌ بكلِّ المقاييس البشرية، ومن الطبيعيّ أن يفكر أيُّ قائدٍ في الوضع الذي كان فيه الحسين، أن يفاوض أو أن يوافق على بعض الشروط للخصم كي يحظى بالنجاة، إن لم يكن بالنسبة إليه، فبالنسبة إلى عياله ونسائه على أقلِّ التقادير، لكنَّ الحسين لم يفعل ذلك على الإطلاق، بل إنه كان مشغولاً بالمسرحة الإلهية للواقعة أكثر مما كان مشغولاً بشأن النجاة أو تلبية الحاجات الآنية من الزاد والماء على مستوى العائلة.

وحتى عندما بعث العباس إلى الشريعة كي يغامر من أجل الحصول على الماء، فإنه لم يكن مهتماً كثيراً لهذا الأمر، لكنه أراد فقط أن يسلك السبل الطبيعية للحصول على الماء للعائلة، باعتبار أنّ هذا التصرف يشكّل جزءاً لا يتجزأ من المشهد الكليّ للواقعة.

بل أكثر من ذلك، فهل يبلغ المرء مقداراً من السذاجة يجعله يتقدّم بطلب الماء للطفل الرضيع وهو محمولٌ على يديه، مع أنه يعلم تماماً أنهم يستميتون من أجل حرمانه وحرمان عائلته من الماء، وإلا فلماذا قتلوا العباس إلى جنب النهر، إلا لأنه كان يحمل قربه ليملاها بالماء لا أكثر ولا أقلّ، حتى أنهم قابلوه بأعداد هائلة من العسكر من أجل غايةٍ واحدةٍ وحيدةٍ لا غير، وهي أن يطيحوا بقربة الماء أرضاً، ويحرموا جوف الحسين الظمائم منها وأجواف عياله.

فلماذا يرفع الحسين طفله الرضيع على يديه ليطلب من أعدائه الماء إن لم يكن من أجل أن ينضمَّ هذا المشهد الفجائعيّ إلى المشاهد الأخرى في إنجاز المشهد الإلهيِّ الأعظم لواقعة كربلاء؟

ثمَّ إنَّ الحسين اختار أن يعمد أبناءه وأبناء أخوته وذويه وأبناء

أن يقال إن العديد من الحركات الثورية الأخرى في التاريخ نجحت في تحقيق مسعاها بعد أن استلهمت نهضة الإمام الحسين، كالدولة الفاطمية، والدولة البويهية، والحركات المشابهة حتى العصر الحديث، مع أننا لا نوافق على هذا الإقتران أيضاً بين هذه الحركات وحركة الإمام الحسين على وجه الإطلاق، لأنها تحتل نقاشاً في التفاصيل ليس هاهنا مورد ذكره بطبيعة الحال.

ثالثاً: إن الهدف الكبير الذي أراده الحسين ليس هو أن تنتصر هذه الثورات التي ذكرها المعترض، فربما كانت هذه الثورات واقعة في طريق تعزيز الهدف الحسيني الكبير في استيعاب الزمن كله من أجل الإنتصار الشامل على الباطل في آخر الزمان، وليس من الضروري أن يأخذ نجاحها عنوان الإستيلاء على الحكم بدلاً من بني أمية، فإن كان قادتها متبهيئين إلى هذا الجانب الدقي من المسألة فيها ونعمت، وإن لم يكونوا متبهيئين إليه انضمت تلك الحركات بحسب درجة الإخلاص فيها إلى المعنى الإلهي المخلص في نهضة الإمام الحسين قسراً، ضمن ما يعرف بالسنة الإلهية في تحقيق مسيرة التاريخ نحو الغاية الإلهية النهائية في انتصار مشروع العدل والحق على مشروع الباطل في آخر المطاف.

(١) - زهر الآداب للحصري ٦٢/١

(٢) - مقتل الحسين ص ٢٢٧

(٣) - مقتل الحسين ص ٢٢٧

(٤) - امالي الصدوق ص ٩٤ عبد الرزاق المقرم مقتل الحسين ص ٩٣-٩٥.

(٥) - انظر النص في كتاب أهداف نهضة سيد الشهداء في كلمات الفقهاء، للشيخ عبد الرزاق الندوي، ص ١٧٧.

(٦) - انظر كتاب أهداف نهضة سيد الشهداء في كلمات الفقهاء، للشيخ عبد الرزاق الندوي، ص ١٥٨.

Bs2008aa@yahoo.com

نويه / كتابات لا تتحمل أية مسؤولية عن المواد المنشورة .. ويتحمل الكتاب كامل المسؤولية عن كتاباتهم التي تخالف القوانين أو تنتهك حقوق الملكية أو حقوق الآخرين أو أي طرف آخر .

والشريعة الإسلامية، أم أن استشهاده هو الأفضل في طريق الوصول إلى هذه الغاية، فلماذا لم يتحاشأ الحسين أسباب القتل لأجل هذه المصلحة في الأقل، أم أن الأحداث أدت بصورة مفاجئة إلى قتل الحسين بينما لم يكن له أي علم بما سيؤول إليه الحال، بل اعتمد على التأييد الذي بلغه على لسان ابن عمه مسلم بن عقيل في العراق، ولم يكن يعلم أن هناك مصيراً آخر سيؤول إليه الوضع، وهو خذلان الناصر، وتألب الجيش الأموي عليه من كل حذب وصوب. (٦)

نقل هذا التساؤل السيد الحائري على لسان أحد المؤلفين، إذ اعتبر هذا المؤلف أن حياة الحسين لو أنه حافظ عليها لكانت خيراً للإسلام، لأن قتله كان خسارة كبيرة مني بها الإسلام والمسلمون، وهو لا يقول هذا من منطلق يتفق معه حوله، بل من منطلق أن قرار الإستشهاد نفسه كان خطأ محضاً، وأن الأفضل لو أن الحسين لم يقدم على هذا المشروع من الأساس.

رد السيد الحائري بما رد به السيد محمد باقر الصدر في هذا السياق، واكتفى بذلك ولم يزد عليه شيئاً. أما نحن فلنا رأي آخر في المسألة، إذ يمكن أن يقال:

أولاً: إن الحسين كان يعلم بأنه سيقتل في كربلاء، وأنه يعلم بكل التفاصيل الأخرى أيضاً مهما كانت دقيقة وصغيرة، فهي جزء لا يتجزأ من القضية الكلية التي يعلمها تفصيلاً، لكن علم الحسين بها لا ينافي اتباعها بأي حال من الأحوال، أي أن علمه بأنه سيقتل في كربلاء لا ينافي إقدامه على القتل تضحية بالذات من أجل الهدف الديني الأسمى، وكذلك قل عن علمه بالتفاصيل والجزئيات الأخرى لا ينافي الإقدام عليها واتباع العمل بموجبها على نفس القياس.

ثانياً: إن استشهاده الحسين ليس الهدف منه هو ما نطق به المؤرخون والكتاب المهتمون بالنهضة الحسينية وفلسفتها على وجه التحديد، أي أن ما ذكره المعترض من أن استشهاده الحسين لم يحقق أهدافاً مستقبلية كبرى تجعل قضية الإستشهاد راجحة بدليل أن الحركات الثورية التي أعقبت استشهاده في ظل الحكم الأموي لم تنجح في معارضتها وآلت إلى الإخفاق على مستوى الأهداف الاستراتيجية المعلنة كحركة سليمان بن صرد الخزاعي، وحركة المختار، وحركة زيد بن علي... إلخ، لا يكفي لرد الدعوى كما هو واضح، فمن الممكن

طقوس عاشوراء وإشكالية التنظير المسرحي..

مهدي هندو جاسم

به وتطويره، هذا ما حصل عندما نُظر إلى إيجاد مسرح عربي الخصوصية فتولدت الآراء المختلفة وكان النفي والثبات في هذه الآراء وكذلك التشكيل والإيمان بها من قبل هذه المجموعة أو تلك هذا الفرد أو ذاك، وبالتالي كان التنظير المسرحي هو المحرك لكل الجدل والسجال الدائر حينها، لقد استطاعت فكرة (هوية المسرح العربي) أن تسيطر على تفكير وعقول الكتاب العرب من أمثال توفيق الحكيم ويوسف إدريس وعلي الراعي وغيرهم، وقادتهم إلى التأمل وقراءة الظواهر المسرحية العربية التي تدعو إلى تأهيل المسرح العربي والرجوع إلى البذرات الأساسية النابتة في عمق تراثنا العربي مستلهمين منه ما قد يشكل هوية مسرح عربي يختلف كل الاختلاف عن المسرح الغربي شكلاً ومضموناً. فقد تبنى توفيق الحكيم في تنظيره لمسرح عربي إحياء دور الحكواتي أو المقلد أو المداخ كذلك فعل يوسف إدريس عندما نادى بإحياء المسرح الشعبي المتمثل (بالمساحر)، أما الدكتور علي الراعي فحاول الوقوف عند صيغة الارتجال في المسرح المصري، ودعا إلى خلق مسرح مرتجل بدلاً من النص المكتوب، هذا ما كان على مستوى الأفراد في التنظير إلى إيجاد مسرح عربي الهوية، أما ما كان في الجماعات المسرحية (نجد فرقة الحكواتي وجماعة المسرح الاحتفالي والفوانيس، كتجارب مسرحية عربية تجمع بين التنظير والممارسة، بين الغاء الثابت وتجريب المتحول، إنها تنطلق من منطلق واحد هو إرادة تجذير الفن المسرحي في المجتمع العربي بجعله ورشاً مفتوحة باستمرار للبناء وإعادة البناء).

الكل يعلم بأن المسرح وليد الطقوس الدينية وأن العرب يمتلكون طقوس دينية ذات مسحة اجتماعية يمكن أن تكون بذرة مسرح عربي الهوية، ومن هذه الطقوس طقوس عاشوراء، إذن ثمة سؤال يطرح في هذا المجال، أين الكتاب والمختصون بحقل الفنون

هناك سؤال كان قد طرحه المخرج والمنظر المسرحي المغربي (عبد الكريم برشيد) في كتابه (التنظير المسرحي... تساؤلات أولية) عن التنظير المسرحي، ماذا يعني وأي شيء يفيد؟ وأجاب عنه بأن التنظير هو التساؤل.

التساؤل عن حقيقة الفن (العلم) الأدب المسرحي وجوهره، التساؤل الذي يمكن خلق كل كشف وكل اختراع، وكل ما نراه من علوم وآداب وفنون وصناعات، أن هو إلا أجوبة لأسئلة سابقة، أسئلة نظرية عن طبيعة الأشياء وعلاقتها فيما بينها وعن مصدرها وعن قوانينها الكامنة فيها، عندما تتساءل يولد العلم/ الفن، وعندما يغيب التساؤل فإنه لا شيء يحضر غير السكون والثبات) إذن السؤال هو مصدر التنظير وهو الدينامية التي تعطي الإجابات على ماهية الفن أو الشيء الذي تحدده التجربة التي تصوغ منها مشروعاً فنياً وثقافياً، وتؤسس له هوية واضحة وثابتة.

وتكمن فائدة التنظير المسرحي في وضع أسس وقواعد لأشكال مسرحية أو أشكال قريبة من المسرح يعتمد عليها في الممارسة الفنية، ويعد محمود أمين (إن الفكر النظري هو عصب الثقافة، والمصدر الأساسي لكل تعبير أو مسلك إنساني أدبيا كان أو فنياً).

التنظير المسرحي هو المعادل بين ضدين فمن خلاله يمكن إثبات شيء أو نفيه وهو يعد أداة البحث التي توصلنا إلى الحقائق، ولو أراد أي مختص في مجال المسرح إثبات وجهة نظر معينة والدفاع عنها يجب أن يلجأ إلى التنظير محاولة منه الوصول إلى حقيقة المدافع عنه، ويساعد التنظير المسرحي أيضاً على إبراز القيم الجمالية والفلسفية في النتائج المسرحي، وهذا بدوره يساعد على تأكيد أصالة هذا الإنتاج الفني ويؤكد على ضرورة تبنيه والاهتمام

مسرحية غريبة، خلق قواعد مسرحية عريقة مستمدة من هذه الطقوس التي تمثل تراثاً مهماً، التنظير هو أداة تفكيك هذه الطقوس ومناقشتها وتطويرها بدءاً من النص وانتهاءً بالإخراج وإضافة ما يمكن إضافته مسرحياً، للوصول إلى منطقة ذات دلالة مسرحية بعيدة عن الطقس.

على المسرحي المختص أن يعي إن إثبات مسرحية هذه الطقوس تبدأ من عملية التنظير لها وفك رموزها وعليه مراجعة أدواته في ذلك، ومن ثم الخروج بهذا التنظير إلى مجال التطبيق من خلال التجارب التي تترجم هذا التنظير، وللتجارب أهمية في ترسيخ هذا الشكل الذي ستكون عليه هذه الطقوس، إن طقوس عاشوراء تمتلك من الخصائص ما يؤهلها بعد التطوير من إن تصبح مسرحاً عربياً، ومن هذه الخصائص الشكل الشعبي الاحتفالي المخزون في الذاكرة الشعبية لذلك يمكن أن تكون مسرحاً شعبياً ذات خصوصية مميزة، يرفض القالب السائد القالب المسرحي الكلاسيكي القادم من الغرب، وكذلك امتلاكها لخاصية

التراث الشعبي كمادة يساعد الإبداع المسرحي لأنه

يمثل الأصالة والشخصية العربية، لو

أراد أي فنان مسرحي أن يصل

بطقوس عاشوراء

الدرامية إلى

أي إنسان

وفي أي

مكان

أو زمان

يجب

عليه

أن يحملها مفهوماً جماًياً وفكرياً متجدداً ومغاييراً لمفهومها السابق ولكنه لا يتعارض معه من حيث الفكرة الرئيسية الأصلية، أي بمعنى إيصال الأفكار التي تتضمنها هذه الطقوس بشكل متطور وحديث مقارب إلى المتلقي البعيد كل البعد عن هذه الطقوس، خاصة ونحن نعيش زمن العولمة والتكنولوجيا الحديثة والتطور السريع والمدهش، من هنا يجب أن تطور أدواتنا المسرحية ولا يتحقق هذا إلا بدق باب التنظير المسرحي.

المسرحية من هذه الطقوس؟ ونقصد طقوس عاشوراء بالتحديد، وخاصة الذين كتبوا مقالات هنا وهناك أو الذين ألفوا في مجال هذه الطقوس وعلاقتها بالمسرح أو الذين مُنحوا شهادات عليا عن رسائلهم الموسومة بهذا الاتجاه، من محاولة التنظير لهذه الطقوس وإثبات وجودها كمسرح قائم بذاته، وعدم اكتفائهم بالعرض التاريخي لها، أين هم من التنظير الذي يجدد ويطور هذه الطقوس دونما المس بقلبها الأصلي التطور الذي يصنعه الإبداع الناتج عن وعي فني وتاريخي والمقدم بالدراسة المعمقة لهذه الطقوس، كان من الأجدى بمن تصدى للكتابة عن هذه الطقوس ان يسعى إلى صياغة تنظيرية لرؤى تجعل هذه الطقوس مسرحاً ذا خصوصية متفردة من خلال اقتراح أسئلة تنظيرية تحدد ماهية المسرح في هذه الطقوس من خلال قراءة الفعل المسرحي المتضمن فيها، ولكن وللأسف لا نجد إلا استعراضاً تاريخياً أو حالات لبعض مراسيم هذه الطقوس يعتقد البعض بأنها تماثل ما موجود في بعض مراسيم المسرح الاغريقي مثلاً ليقول عنها مسرحاً، والكثير ممن تصدوا للكتابة عن طقوس عاشوراء بوصفها مسرحاً، سببوا عدم ولوج عالم التنظير لأسباب عدة، منها أو يعتقد بأنه السبب الرئيسي هو منع السلطات إقامة هذه الطقوس، التعاطي الثقالي لها على كافة المستويات الاجتماعية والفنية، إن كان هذا هو سبب عزوف المختصين بحقل المسرح في عدم التنظير كطقوس عاشوراء مسرحياً فنحن نعطي الحق هؤلاء المختصين الذين يقيمون في داخل بلدانهم التي تمنع هذه الطقوس، إلا إننا لا نعطي الحق للذين خارج بلدانهم من هؤلاء لديهم الحرية الكافية في الخوض باتجاه التنظير لهذه الطقوس دونما خوف أو حذر، ولو إننا نرى بأن التنظير المسرحي لطقوس عاشوراء يجب أن لا ينفصل عن الصراع الاجتماعي أو السياسي بل يجب أن يكون حاملاً في طياته هذا الصراع معلناً عن ثورة مسرحية، بجانب الثورة الطقسية، ذات خطاب مسرحي مستقل، إن التنظير المسرحي لطقوس عاشوراء الدرامية يمكن ان يرسم خطاً جديداً لمسرح عربي أصيل ونفوس هيمنة المسرح الغربي بقواعده الصارمة التي تحيط بالعرض المسرحي، التنظير هو الأداة الوحيدة لإيجاد شكل مسرحي خاص أو مضمون مسرحي خاص لأنه يجمع في طياته تأسيس قواعد خاصة ومغايرة لما موجود من قواعد





كيدر عبد الحضر

الماء ذاكرة مكبلة بالعطش والنبوءات ...

قراءة في تراجميديا (الماء يا قمر الشريعة)

كيف يتحول الماء الى نبوءة وكيف يكون

شاهداً على انكسار الحلم وتشظيه

في رمال العزلة والتوحد ..؟؟

ضمن المنظومة اللغوية للمسرح الاسقاطي . إن التعامل مع الواقعة التاريخية وفي المسرح خصوصاً ينبغي أن يتم وفق معايير وأسس وقوانين معرفية وفنية تحاول أن توجد نوعاً من التناسق والاتساق بين الصدق والمعالجة الفنية وبين اقرب الحقائق وأدقها وأكثرها إقتناعاً ومصداقية فالكاتب هنا يتجاوز دوره دور المؤرخ او المحقق لأنه يمتلك مغزاه وخياره الجمالي الذي يلعب فيه المخيال والوعي دوراً مركباً يتجاوز الفهم المسطح والساذج للواقعة والحدث التاريخي فكأنه يعيد بهذه الآلية قراءة وصناعة التاريخ وفق رؤية شمولية معاصرة تحاول استثمار الحدث لخدمة خطابها الجمالي ورؤيتها للتاريخ والحياة .

أن موضوعه العطش الكربلائية في هذا العمل فكرة رمزية أنتجت علاماتها وإشاراتنا التأويلية التي حضرت الذاكرة على استحضار كل الطقوس والممارسات والشعائر المرتبطة روحياً ووجدانياً بهذه الواقعة من اجل أن تمارس دورها في تطهير الحاضر وتحفيز المتلقي على إدراك المعاني والمضامين المقدسة المرتبطة بذلك الجوهر الإنساني العظيم .. إن فعل الإخراج بمناخاته ومعالجاته الرؤيوية ومفرداته ومؤثراته المتنوعة قد حقق ذلك التناغم والانسجام بين ما حدث وبين ما كان ينبغي أن يحدث .. صبيه حفاة يلتنون حول الفرات بطاساتهم الذابلة وشفاهم المرتجفة ينتظرون القادم .. العطش يقتطف قلوب المتعبين .. ما جدوى الاتكاء على صدى خافت .. أصوات وأنفاس تتداعى .. يلتبس التاريخ وتتداخل الأزمنة حيث لا حد فاصل بين الأمس ... والآن .. وها هو المشهد يتشظى وترتلك الأمكنة من جديد وتبدأ دورة الأسئلة .. الدهول هو اللحظة الفاصلة بين جواب منطقتي وأمل مكبل بالخفوت .. ينتصب الفرات (التائب) في وسط المشهد وتتعري الأجوبة .. أجوبة كما العطش .. والقادم معلق في ذاكرة الفرات بقربته المتقوية يتأرجح في مساء الصبية الذين نزهتهم الخيام وحرائق القيامة .. شهود جدد يتسللون إلى حضرة الفرات .. المرتبك .. هذه هي المنطقة الحرجة التي أراد المخرج أن يقذفنا بها لكي نفهم معنى العطش بعد أن يفور زبد الكلام وتحبس الأنفاس ويتنامى الشك والارتياب ... من بعيد وعلى مقربة من الضفاف التي

العطش وهو أحد أسرار الماء يدخلنا في عالم تتصارع فيه القيم والمفاهيم ويضعنا أمام سؤال يبحث عن ماهية الوجود وجدوى المجابهة في لحظة ترتبك فيها الحقائق والتفاصيل ..

العطش نقيض الارتواء وهو ذاكرتنا الموجوعة والمضرجة بالتمتمة واليباس لقد شكلت هذه الثيمة نقطة الارتكاز في بناء نص ارتبط بمنظومة من التشكلات أراد في هذه التجربة أن يبرهن على ان المرجعيات التاريخية والعقائدية بكل تنوعاتها ومساراتها لا يمكن ان تتجاوز العناصر المشتركة في الحس والتوجه الإنساني لذا فهي عندما توظف لخدمة فن من الفنون او الآداب فأنها تستلهم كل هذه الأبعاد عبر تقجير المعطيات المتشكلة في الذاكرة ويشير المؤلف في كلمته إلى انه في هذا النص حاول الانفلات من شعرية المفردة إلى شعرية الحدث موضعاً وبشيء من التحدي والمكاشفة بأنه باستطاعة كل إنسان أن يصنع قرابة ولكن ليس باستطاعته أن يملأها بالماء لذا فهو يدهشنا بهذا التساؤل المريب (علينا أن نفهم العطش أولاً ؟) كيف يتسنى لنا أن نفهم العطش ؟ قد يكون المخرج يأسر البراك في توظيفه لهذا النص حاول أن يزيح غموض والتباس الأسئلة التي صاغها المؤلف سواء باختيار مكان وفضاء العرض أم باستلهاهم الواقعة بعيداً عن مناخاتها وملاساتها التاريخية وذلك بإيجاد عناصر وانساق مشتركة بين لغة النص واليات العرض ومعالجاته التي ارتبطت بأطروحة المسرح الاسقاطي لدى المخرج فالشعر كآلية من آليات التعبير اللغوي يمنح الخطاب المسرحي الاسقاطي بعداً تأويليناً وجمالياً يشكل حلقة الوصل بين ما نطمح إليه في المستقبل وبينما هو متحقق فعلاً. لذا فالشعر (الفصحى - العامي) حسب ادعاء المخرج هو احد الرهانات الأساسية في التعبير



الممثلين الذين حرصوا على الموازنة الدقيقة بين معايير ومحددات الشخصية وإيقاع الحركة الخارجية وذلك بفصل الجسد كعلامة في العرض عن المفردة التي تمثل سلطة النص ومرجعية الحدث وهذه الموازنة أدت إلى شيء من المراوغة والالتباس الذي ابرز حيوية العمل وتساميه وقدرته على تجاوز المحددات والدخول في فضاءات ومهيمينات أخرى شكلت فيها الشعرية والطقسية مناخاً حيوياً وفاعلاً في وصول العرض إلى تجليات عميقة ومستوى عرفاني انتقل بالمتلقي من مأزق وسلبية الحيرة والانتظار إلى الشعور والمشاركة في صنع الحقيقة والحلم . وبذلك استطاعت جماعة الناصرية للتمثيل في هذا العرض أن تضيف عملاً إبداعياً آخر يعزز من فعالية وقيمة منجزها ورسالتها في البحث عن مستويات متعددة للتلقي وإشراك نخب تنتمي إلى خلفيات فكرية واجتماعية متنوعة وصولاً للانفتاح بالتجربة والحوار كيما يتحقق المغزى والهدف الحقيقي لهذا الفن ولكي يبقى المسرح خطاباً متجدداً ومتجذراً في ضمير وخارطة الوجدان الإنساني ودعوة صادقة لاستلهام الشذرات والمواقف والسلوكيات الإنسانية الفاضلة ولبث الرؤى والتصورات التي تعزز من فعالية الإنسان ورغبته في تأثيث عالم مؤطر بالحرية والعدالة والجمال.

انطفأ فيها الحلم أكف خضر (النقاء - الأمل) تزيح ستائر الظلام وتلوح في أفق بدأ يتصدع فتسيل من خزائنه القرب ... الفارغة والتي ستمتلئ حتماً بعد مجيء الغائب ، والغائب بالمعنى الآخر.. القادم ... (قمر الشريعة) .. وما زال التائب ينزف ذكراه وأوجاعه بجسرة ومرارة (منقل بالدماء .. منقل بالذنوب ... غائب لويؤوب) .. الغرباء يتسللون إلى هذه المساحة الملتهبة بالشعور والبوح والحزن الأبدي .. ثلاثة أصوات تنتمي إلى ثلاثة عوامل متباعدة يوحدتها المخرج في إطار الرؤيا الشاملة للعرض بحيث يجمعها هاجس وهدف واحد يركز عبره المخرج على المفاهيم والرغبات الإنسانية التي يتضامن خلالها البشر في رؤيتهم وتطلعاتهم المشروعة .. لقد نجح البراك في هذا العرض في تفكيك النص المسرحي واكتشاف وإضافة أبعاد عززت من القيم الدلالية والحركة الداخلية له وذلك باستدعاء المرجعيات والمضامين الغائبة وزجها في مناخ طقسي يتجاوز الأطر والصراعات الذاتية للواقعة لينتقل بها إلى التصور والمدلول الكوني وقد فعل ذلك عبر اشتغاله في منطقة (خيال الظل) التي أنتجت لنا مشهداً مجاوراً أدى إلى تنامي البناء الدرامي والحسي للحدث ف (الإنارة - الموسيقى - الترانيم - الإيماءات) تفاعلت تفاعلاً عضوياً وتوحدت مع الأداء الواعي والمدرّوس من قبل

المسرح الحسيني ..

والتعددية الفكرية بين التراث والمعاصرة

نبيل نعمة الجابري

حينما يورد الحديث عن العلاقة بين التراث والمعاصرة في التعددية الثقافية ، سرعان ما تتلبد فوق رؤوس البعض غيوم من الشك والإنكار، وتنعقد في سماء الفكر سحباً من النفي والريبة فيما يذهب البعض الآخر كردة فعل إلى المجابهة لتكون العلاقة الداخلة بين الفريقين قائمة على أساس غير موضوعي يستدعي منا الولوج لواقفة جادة موضوعية قائمة في البسط علائقها على المهنية الفكرية من دون انحياز لطرف ما .

وهو برغم ما مر به من تجديد، إلا انه لم يقل تأثيراً في القلوب ولم يبتعد عن محوره الإنساني كذلك هي القصة والحكاية وحتى المسرح ذلك الفن الضارب في جذور التاريخ ، ما كان له أن ينتشر لولا روح الأسطورة وتوظيف التراث الإنساني ، إلى الحد الذي يدعونا إلى أن نقول بأن عالمنا بات شبيهاً بقرية مسرحية صغيرة ، لم تعد هناك أسوار تحول بين الشعوب والأمم لا تتلاقى وتتفاعل وتتلاحم تراثياً ، هذا على مستوى الأسطورة والتي تمثل مراحل متقدمة من الخيال الإنساني الخصب ، فكيف إذا كان على مستوى الواقع حين يكون فيه البطل واقعيًا ، ويكون المحور الذي تدور حوله الرحي شخصية كتب لها التاريخ بكل مستوياته، وهو مازال في حالة من البث المستمر لقيم الفضيلة والخير الذي تشده كل الشعوب.

فمن المعروف إن أي فعل إنساني ممكن أن نمر به يسخر خلال مسيرته عباب التراث مستخرجاً من أعماقه السحيقة الشخصيات والأفكار والأحداث ومستثمراً جمالياتها في معالجات مختلفة، من أجل التأثير لتباين في اتجاهات الكتابة، وتعدد الأساليب، وتباين القضايا والهموم المؤرقة، فالرسم - على سبيل المثال لا الحصر- ومنذ أقدم العصور، قد سخر الكثير من القضايا التراثية قبل أن يصير إلى مدارس واتجاهات، وقبل أن تدخل الحداثة روحه وجوهره ، والتي لم تسلبه رونقه ... ورباعيات الخيام شاهد عما نتكلم ، كذلك هو الشعر فإن أقدم ملامحه التي وصلت إلينا هي في جذوتها الأولى ملحمة قائمة على نقل عادات وتقاليد وأعراف من سبقونا بأسلوب درامي، يوجب المشاعر لاستكشاف المجهول، وسبر أغوار التاريخ ،

والحادثة ، وتطبيع الواقع التراثي لنمط يعد من وجهة نظرهم منفصل تماماً عن الموروث السائد .

وفي نظرة فاحصة بين هذه التيارات الثلاثة ، نجد تغلغلاً لتيارات فكرية وفلسفية وسياسية ودينية ، تتوزع بين نزوع إنساني معاصر ونزوع أيديولوجي متشدد (رديكالي) ، ونزوع إسلامي يطمح لأخذ الفكرة على محمل الجد والمعاصرة، روح تضمن الالتزام بمنهج تاريخي ثابت ، ويسعى للإفادة من التراث الإسلامي . يذهب الناقد (مصطفى فائق) في كتابه ذاكرة المسرح العربي إلى توظيف التراث المسرحي يتمثل في اتجاهين:

١- يوظف المضمون دون الشكل أو القالب واستخدامه مرحلياً ، فظلت بذلك المسرحيات المستوحاة أسيرة تفاصيل التراث وجزئياته من دون أن نخلع عليه وهج العصر .

٢- يوظف وقائع التراث العربي وفنونه في مضمون المسرحية وشكلها من غير تأثيرات في الفنون الأوربية. ومن الطبيعي أن يختلف الكتاب في مواقفهم من التراث في المسرح ، ذلك إن النشاط المسرحي في العصر الحديث لم يبت بصورة قاطعة بوجود تراث مسرحي، أو مسرح له ملامحه ومعطياته وأدبياته ومنهجيته ولغته ومقرراته الدرامية وفضاءاته، لأنه يفتقر إلى العمق الذي يعطيه شرعيته التاريخية والاجتماعية والفكرية.

يبقى في المحصلة انه يمكن للمسرح الحسيني أن يحقق هويته ويخرج من رحاب الإتياع إلى فضاء الإبداع حينما يبتعد عن النهج الكلاسيكي وتفسير الحاضر، من خلال إتياع طرق مستحدثة في العراق والتناول ، لتكون النتيجة مسرحاً حسيانياً يجمع بين الواقعية كمنهج وخيار ، وبين التجريب المنبثق من المادة كأسلوب آخر للمزاوجة بين تجاربنا المستحدثة وتجارب الآخرين .

ربما تتيح لنا هذه الأمثلة أن نستنتج بأن العودة للتاريخ وتصفح التراث في عصرنا الراهن ليست بدعة طارئة أو نزوة متقلبة أو تعصباً أعمى أو لاجابة فوضوية ، بل هي ضرورة تاريخية وحضارية وعليه يصح القول بأن الصلة بين المسرح والتراث صلة حية ومحتمة لا تقتصر على امة دون سواها وتشبه صلة حبل المشيمة بسرة الوليد. وفي غمرة حماستنا لتراثنا نكرر ما قاله (عبد الكريم برشيد) في كتابه (العلاف) من إن : القومية لا ترتبط بالتراث وحده، لأنها قبل كل شيء تلتصق ب (النحن) وهي بالتأكيد وجود تاريخي وتمتلك امتداداتها إلى الخلف وإلى الأمام ... كما ويفهم (برشيد) : إن التراث ليس هو الهوية بل هو أحد أبعادها ، انه ذاكرتنا الممتدة باتجاه الماضي ويضيف : (انه لما كان هذا التراث في معناه الحقوقي احد أبعاد شخصيتنا واحد مستوياتها المتعددة ، فقد وجب أن نتطرق مسرحياً مما هو اكبر واشمل واعم واخطر من التراث) ، وفي الخطوة التي أقدم عليها من اجل التأسيس لمسرحة الشعائر الحسينية ، فقد تعددت المواقف من مسألة توظيف القضية الحسينية كجانب من جوانب التراث في مسرحة الشعائر بين الرفض المطلق والقبول المشروط ، وهذا التباين ناتج من تنوع في الخلفية الفكرية والرؤى والأيدولوجيات التي تحكم المجتمع في كل أنواعه ، لذا يمكن أن نصنف ثلاثة اتجاهات تفرعت عند انبثاق الفكرة :

١- اتجاه يدعو إلى الاكتفاء الدرامي بما هو موجود ، وعدم رقد الساحة الأدبية والإنسانية بالمزيد من النتائج الفنية حتى لو كانت لها حاجاتها ومريدها.

٢- واتجاه يدعو إلى تطوير التراث المحلي بما يلائم روح العصر التواق إلى التجديد والتأصيل، ويمكن تحقيق ذلك بالأخذ من انجازات المسرح العالمي .

٣- والاتجاه الثالث يدعو إلى انبثاق جديد لا علاقة له بنظرية المسرح العالمي، يؤسس على أساس الجدة

قضية الإمام الحسين (عليه السلام) في التشكيل العراقي..

محمد الهجول



الكشف عن مضامين إنسانية خالدة

شكلت قضية الإمام

الحسين (عليه السلام) واستشهاده مع ثلة

من صحبه الكرام، موقفاً مؤثراً في الفكر والثقافة والفن.. إذ صارت هذه القضية استلهاماً إبداعياً، توافرت فيه المعاني العالية للموقف الإنساني، الذي جسده الإمام (عليه السلام) في رفضه للظلم والفساد.. فكان (عليه السلام) فكرة مشرقة تعبر عن سطوة الفعل الأخلاقي الحقيقي، ومعنى أخذنا لسمو الذات المضحية.. وبذلك كان حضور الإمام الشهيد في عموم البوح الإبداعي العالمي والعربي قضية مثلى، تترجم حقيقة الموقف البطولي الذي أسسه الإمام (عليه السلام)، كي يكون منبعاً ثراً للتحرر والمواجهة النبيلة..

وقد شكلت هذه القضية رافداً قوياً، استلهم منه الفنان العراقي العديد من المفردات في تشكيل موفورات تتسع لمعاني انتصار الخير على الباطل والنشر، والدم البريء على السيف المبتذل.. وتعد تجربة الفنان الراحل (كاظم حيدر) التي قدمها في معرض شخصي في بيروت عام ١٩٦٥ تحت عنوان (ملحمة الشهيد) الأوفر معنى في استلهام مأساة الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء بأربعين قطعة كبيرة.. فنرى الفنان الرائد جميل حمودي يكتب عن ذلك المعرض: عبر التاريخ الحافل الذي تنقله صور الملحمة تقرأ معاني البطولة وتكتشف دناءة المؤامرة وتعيش أجواء المعركة

بما

فيها

من كر وفر وهجوم

ونكوص وقتل

واستلاب.. ثم ترى سمو الفداء متجسداً بأبهى جلال

من اجل المثل الرفيعة التي استشهد من اجلها الحسين (عليه

السلام) وصحبه الأكرمين.. من هذا النص نعي أن الفنان

كاظم حيدر استطاع اختزال أجواء المعركة في ملونات اعتمدت

السردي البصري للوصول إلى أكثر من جانب، بغية الكشف عن

الموقف الأكثر التصاقاً بمعاني البطولة والإنسانية التي جسدها

الإمام (عليه السلام) من خلال وقفته تلك.. الفنان والناقد

نوري الراوي يرى في هذه الأعمال: إن دراسة شاملة لسلسلة

اللوحات التي ألغت وحدات هذه الملحمة تقودنا إلى الإحاطة

بما في ذلك العالم من نقائص.. الخيول المنهكة تقابلها خيول

مستنفرة.. مستنزفة وضخامة السيوف التي شكلت باحترامها

ظرفاً تاريخياً متوازماً، حققت انتصاراً زائفاً سرعان ما تحول

إلى فضيحة تاريخية اتسمت بعار "الجرائم النكراء" وبقي في

النهاية، ذلك السيف الوحيد الذي منح من الشجاعة بقدر ما

جرد تلك السيوف الفادرة من كل صفة للنبل والشرف.

من جانبه يكشف الناقد والفنان شاكر حسن آل سعيد عن بعض



من مضامين تجربة الفن التشكيلي في العراق منتصف القرن الماضي ويرى إن معرض ملحمة الشهيد في عام ١٩٦٥، كان بمثابة المؤشر الواضح لمستقبل الفن التشكيلي في مرحلة الستينات، ولابد انه كان حافزاً في حينه لشباب الفنانين من اجل البحث عن رؤيات جديدة ذات أبعاد ميتافيزيقية أحياناً وملحمية أحياناً أخرى إن فكرة الخير والشر والمأساة من ابرز مميزات كاظم حيدر..

وكما برع الفنان كاظم حيدر في تأطير موضوعه استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام) وجعلها محور العديد من أعماله.. فإننا نجد ان فنانين آخرين استلهموا ذات القضية فكانت محورا لأعمال كثيرة قدمها الدكتور الفنان ماهود احمد والفنان ضياء العزاوي والفنان عبد الرزاق ياسر.. حيث برز تشكيل الوحدات كثيمة تسرد قصة استشهاد الإمام الحسين (عليه السلام).. فكانت اللوحة هنا مساحة ملونة تحكي خلود المعنى الإنساني الذي قدمه الإمام الشهيد..

ففي لوحات الفنان ماهود احمد تأتي الخلاصة في إبراز ملامح الشر الذي مثله الشمر وجيشه كقوة باغية لا تعرف الرحمة.. فالوجوه المسكونة بالسقوسة، والسيوف المسلولة غدرا، كانت وحدات مرسومة تعبر في أكثر من جانب عن بعض الصور المخفية للجريمة التي ارتكبتها أعداء الإمام..

بذات المعنى يقدم الفنان عبد الرزاق ياسر مجموعة من اللوحات يتابع فيها أجواء المعركة.. ويقص بسرد بصري تفاصيلها الموحجة.. فبالرغم من تراص الخيول التي أقحمت في المقاتلة وكثافة السيوف المصوبة نحو الإمام (عليه السلام) وصحبه، فان الفنان قد أبدع في تصوير الخوف والتردد وعدم الجرأة فيها.. في حين يبرز الإمام كقوة مضحية ومواجهة وموعظة أيضاً..

لقد كرس المبدع العراقي مفرداته وبصورة مرهفة لتصوير واحدة من أهم الأحداث التاريخية التي عاشتها الأمة الإسلامية.. وعمل بقوة على الكشف عن معنى السمو الخالد الذي ترجمته شخصية الإمام الحسين (عليه السلام) في مواقف الدفاع عن الحق والحرية والسلام.. فكانت ملحمة عاشوراء منطلقاً فاعلاً ومحوراً ثراً للتعبير عن ارادة كسر القيد والتحرر من سطوة الظلم والظالمين.. استلهمها سطح اللوحة مثلما استلهمتها مباحث الفكر والأدب..

صَوْتُ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ



صوت الحسين عليه السلام

الشخصيات:

- ١ / الشيخ الراهب
- ٢ / الشاب
- ٣ / عمر ابن سعد
- ٤ / الشمير
- ٥ / حرملة
- ٦ / شخص ١
- ٧ / شخص ٢
- ٨ / شخص ٣
- ٩ / الراهب
- ١٠ / حكيم ابن الطفيل
- ١١ / صوت الإمام الحسين عليه السلام
- ٢١ / روح مسلم بن عوسجة
- ١٢ / صوت حبيب بن مظاهر
- ١٤ / زهير بن القين





المكان / في إحدى الكنائس في الزمن الحاضر...
الديكور / جانب من قاعة الكنيسة وبجوارها مكتبة بسيطة تابعة للكنيسة ...

نشاهد أحد الرهبان من الشباب بملابسه الرسمية المعتادة وقد جلس على كرسي بجوار المكتبة ويده احد الكتب ، نراه يطالع بشغف يدخل راهب آخر كبير السن إلى الكنيسة ويقترّب من الشاب لا يلتفت إليه أو انه لا يحس بوجوده لكونه منسجم تماما بالقراءة .. فينتبه الشيخ إلى حالة الشاب الغريبة فيخاطبه مداعبا .

الشيخ / أنت أيها الشاب المجتهد .. إلى أين وصلت ؟
وماذا تقرأ ؟

الشاب / (ينتبه فجأة .. وكأنه بعيدا عن المكان .. ينهض مسرعا ويقول)
نعم سيدي ... نعم ... كنت أقرأ .

الشيخ / (مقاطعا) كنت ماذا ؟ ... أراك تقرأ بشكل غير اعتيادي ... هل أنجزت واجباتك اليومية في الكنيسة ؟

الشاب / نعم يا سيدي .

الشيخ / وما قصة هذا الكتاب الذي تحتضنه ؟

الشاب / ها الكتاب . (ينظر إلى الكتاب فيزداد تمسكا به فيقول)
نعم الكتاب ...

الشيخ / (باستغراب) ماذا في هذا الكتاب ؟ ومن أين حصلت عليه ؟ أرجو أن لا تكون قد

جلبت لنا كتابا من خارج مكتبة الكنيسة . فيه ما يغضب الرب !!!!

الشاب / كلا كلا يا سيدي ... أقسم بأني وجدته بين الكتب وأنا أقوم بأعمال التنظيف اليومية .

الشيخ / إذن ما الأمر الذي يجعلك تعانقه بهذا الشكل الملفت للنظر ؟

الشاب / (ينظر إلى الكتاب ثم يقدمه إلى الراهب)
تفضل يا سيدي .. هذا هو الكتاب ... لاشيء فيه ما يدعو إلى الريبة أو القلق ... لكن ..

هناك حادثة يرويهها هذا الكتاب جلبت انتباهي فتواصلت معها متعاطفا ومتسائلا في نفس الوقت عن حقيقتها .

الشيخ / وما خلاصة هذه الحادثة ؟

الشاب / لم أقرأ إلا صفحات قليلة قبل قدومك يا سيدي .

الشيخ / وما الذي جلب انتباهك في هذه الصفحات القليلة ؟

الشاب / الكتاب يتحدث عن تائر يقتل ويلقى رأسه فوق الرمح .. ويطوف به قاتلوه البلدان

الشيخ / وهل تريدني الآن أن أترك لتقرأ بقية القصة ؟

الشاب / بالعكس يا سيدي أريدك أن تبقى ... ولكنني لن اترك هذا الكتاب إلى أن أقرأ بقية القصة .

الشيخ / إذن لماذا تريدني أن أبقى معك ؟

الشاب / لهفتي على حقيقة ما جاء في هذا الكتاب، وفضولي

يدفعاني إلى التساؤل من سعادتكم لكي أعرف المزيد عن حقيقة هذه الحادثة .



الشيخ / لم أفهم منك إلا التقليل عن هذه القصة... والتاريخ مليء بجوالات القتل ورفع الرؤوس فوق الرماح... لكنني لم أعرف منك المزيد حتى استطيع أن أقدم لك المساعدة .

الشاب / القتل... أو بالأحرى هم مجموعة من القتلى علقت رؤوسهم فوق الرماح.... حدث ذلك قبل أكثر من ألف عام وفي إحدى مدن العراق يقال لها كربلاء أو أطف وقائد هؤلاء القتلى يسمّى الحسين بن علي .

الشيخ/ (يطرق ملياً.. تبدو علامات الحزن على محيآه)
الشاب / أراك وقد سيطر عليك الحزن يا سيدي ؟ يبدو أن هول المأساة أكبر من هذه السطور.

الشيخ / يؤسفني أن أقول لك نعم يا بني... الواقع أكثر بشاعة ودموية ووحشية .

الشاب / (يزداد إلحاحه لمعرفة المزيد فيقول) أقسمت عليك بالرب إن تخبرني .

الشيخ / هذه المأساة تعجز عن وصفها الكلمات ولا بد إن أبدا معك من بداية حدوثها.

الشاب / سأكون شاكراً لك كثيراً يا سيدي .
(يبدأ الشيخ بالحديث عن الحادثة)

الشيخ / رغم إن هذه الحادثة وقعت في بلاد المسلمين إلا إنها هزت ضمير الإنسانية.... وما زالت تتجدد ذكراها في كل عام .

الشاب / سوف لن أفارقك يا سيدي حتى اعرف جميع تفاصيل هذه الواقعة .

الشيخ / ولكن هل أنت مطلع على التاريخ الإسلامي ؟
الشاب / ومن أين لي الاطلاع وأنا قد نذرت نفسي في خدمة الكنيسة .. ولا يوجد متسع من الوقت كما ترى يا سيدي .

الشيخ / لكننا رغم كوننا مسيح ، إلا إننا نعيش في بلاد المسلمين وهم إخواننا....با التأكيد وعليه لا بد لنا أن نعرف عنهم كل شيء .

الشاب / وهل هم يعرفون عنا كل شيء؟

الشيخ / دين الإسلام .. دين محبة وتسامح وأخوة كم هو شأن بقي الأديان السماوية التي باقي

مصدرها الإله الواحد الأحد... والقران الكريم..كتاب المسلمين المقدس فيه من

العلوم والمعارف عن جميع الأديان السماوية ، وقد فضل الله العالمين على القاعدين

درجة .. كذلك أكرم الإسلام والعلم والعلماء ،.لذلك فأنا على اطلاع تام بما تحتويه مكتبات المسلمين عن جميع المعارف والعلوم وكذلك عن جميع الأديان .

الشاب / هذا يعني أن سعادتك له اتصالات مستمرة مع علماء المسلمين.

الشيخ / هذا شيء مؤكد .

الشاب / إذن لماذا لا نكون نحن مثلهم ، نتوفر على جميع الأديان ونتداول ما تكتب عن المذاهب والأديان الأخرى ؟

الشيخ / وما المانع في ذلك؟ هذا جهد شخصي لمن يريد الاطلاع على أحوال شعوب العالم.

الشاب / إذن ... يا أبتى أقسم عليك بالمسيح أن ترشدني إلى المصادر والكتب التي تسعفني في هذا المجال .. ولكن قبل كل شيء أريد منكم معرفة تفاصيل الواقعة التي نحن ... يصدها الآن .

الشيخ / انك يا ولدي تعلم إن النبي محمد بن عبد الله هو خاتم الأنبياء ، وهو من ذرية النبي إبراهيم ، كم كان كل من موسى ، وعيسى روح الله فهم ذرية بعضها من بعض .

الشاب / أعتقد إنني اعرف ذلك... لكنني أجهل تفاصيل كثيرة عن الإسلام وعن قاداته... وإحداثه .

الشيخ / إن صاحب الرأس الذي قرأت عنه هو ابن بنت النبي محمد .

((عندما يسمع الشاب هذه الحقيقة من الشيخ يصاب بذهول وحيرة وارتباك لكنّه يتماسك رغم إن الألم يعتصر قلبه فيقول))

الشاب / أكاد لا أصدق يا أبتى...من هؤلاء الذين يقتلون ابن بنت نبيهم؟ هل هم مسلمون

مؤمنون بالإسلام ؟

الشيخ / القصة طويلة .. وسأرشدك إلى من يسعف طلبك والآن سأبدأ معك من سنة ستين من العام الهجري أي قبل أربعة عشر قرن تقريبا في تلك السنة....خرج الحسين بن علي بن أبي طالب - ابن فاطمة الزهراء البتول- بنت محمد بن عبد الله خاتم الأنبياء من مدينة جدّة - المدينة باتجاه الكعبة- في مدينة مكة

الكوفة ومنها إلى الشام التي كان يحكمها يزيد ابن معاوية الأموي
((يظلم المسرح تدريجياً مع مؤثرات مناسبة حتى يعم
الظلام التام حيث ينتهي المشهد)) .

ومنها توجه إلى العراق قاصدا الكوفة ، بعد أن وصلت إليه آلاف
الرسائل... لكن الواقعة في مدينة تسمى كربلاء أو الغاضرية أو
ارض لطف ، حيث استشهد هناك الحسين مع أهل بيته وأصحابه
.... ومن هناك حملت الرؤوس على الرماح ، وتوجهوا بها إلى

المشهد الثاني :



الشيخ / ولماذا لم توقظني قبل هذا الوقت ؟ الحمد لله على كل
حال... حسنا فعلت يا بني إذ أيقظتني !!! لقد كان كابوسا مرعبا .

الشاب / عن أي كابوس تتكلم يا أبتى ؟

الشيخ / عن كابوس بدأ يلازمني منذ ليال عديدة... حلم...
كابوس... عاقرني وسلب مني طمأنينتي وسعادتي ... لا أدري ما
أفعل ؟ وكيف أتخلص منه ؟

الشاب / وما هي تفاصيل هذا الحلم يا أبتى ؟

الشيخ / أرى معركة رهيبية غير متكافئة بين فريقين !! وكذلك أرى
نيرانا مشتعلة - وقتلى ورؤوسا تحمل فوق الرماح كأنها رؤوس
قديسين - وكذلك أرى وجوها يملؤها الحزن والأسى ورغم ذلك
أرى اشراقها المبهجة --- وكذلك أرى وجوها كالحلحة مرعبة
.. تشمئز منها النفوس... لا أدري ماذا يعني هذا ... وكذلك لا
أعرف من هؤلاء الذين يتقاتلون - ولا أدري أين ومتى حصل كل
هذا ؟!!!!

الشاب / لا تقلق يا أبتى لا تقلق... إنها أضغاث أحلام بالتأكيد أنا
لا أريد التدخل في حياتك الشخصية ... ولكن قل لي يا سيدي
هل تواجه متاعباً شخصية لا تعرفها ؟ أو هل تعرضت إلى حادثة
أحزنتك أو أربعتك في الفترة الأخيرة ؟

المكان - كنيسة في قرية حدودية - بين بادية الشام

الزمان - قبل واقعة أطف التي استشهد فيها الإمام الحسين
عليه السلام وأهل بيته وأصحابه عام ٦١ هجري.. يشاهد راهب
وهو نائم في داخل الكنيسة ، في جانب منها حيث يكون الديكور
حسب تصور المخرج .. الوقت صباحا .. وما تزال الإضاءة خافتة
حيث يكون المكان نصف مضاء.. الراهب نائم .. يتقلب في منامه
ويبدو غير مرتاح وكأنه يرى حلما ما .. يمكن عرض فيلم تسجيلي
يحاول تجسيد بعض ملامح الحلم .. في أحد جوانب المسرح
من خلال شاشة عرض - يعرض فيها فيلم لقطات من معركة
بالرماح والسيوف وصور قتلى ورؤوس ورماح - بعض الصور
واضحة والبعض الآخر غير واضح وكأنها أشباح- في هذه الأثناء
يدخل راهب آخر متوسط العمر ، أقل عمرا من الراهب الأول
النائم -

يحاول هذا الراهب ايضا ضه قائلًا :-

الراهب الشاب / أبتى ... أبتى

الراهب الشيخ / يستيقظ مذعورا ... ها ها ... من ؟

الشاب / أنا يا سيدي ... لقد تأخر الوقت، وزوار الكنيسة على
وشك القدوم .



الشيخ / كلاً... كلاً... يا بني انك تلازمني ومع بقية الإخوان داخل الكنيسة .. فقلماً تخرج منها وحسب الضرورات الملحة... انك كما تراني والحمد لله أتمتع بصحة جيدة.

الشاب / (يضحك وهو يحاول إدخال السرور على قلب الشيخ)

إذن لا بأس عليك يا أبتى، ولا يأخذك التفكير بعيداً... لا تدع ذلك يؤثر على صحتك وسلامتك يا سيدي .

الشيخ / لكن هذا التكرار يزعجني... تعس الأحداث تدهمني ونفس الوجوه ونفس التفاصيل...!!! أرى مأساة وأغرق في نحبي وأنا أقف عاجزاً عن تقديم المساعدة والعون لتلك الصفة من القديسين والأولياء الصالحين... أرى سيدي ميجلاً... يتدفق النور من محياه... يخاطب جموعاً وكأنهم صمّ وبكم وعمي!!! لقد كنت انهض مذعوراً في الهزيع الأخير من الليل وأحسّ بحرارة دموعي وهي تخترق جسدي المعضب.

الشاب / (وقد بدت علامات الحيرة على محياه)

ليس لنا غير الدعاء والتوسل إلى الرب إن الله مع عباده المخلصين الصالحين لتكن مطمئناً تماماً يا أبتى إن هذا الأمر لن يستمر طويلاً... أرجو أن يكون تفسير الحلم خيراً... انك دائماً تحثنا أن نتوجه على خالق السماء والأرض في كل محنة نواجهها فهو القادر على كل شيء وهو أرحم الراحمين .

الشيخ / ليس لنا في هذا الوجود غير أطراف رب العالمين... هذا أمر مفروغ فيه... لقد نذرت العمر وأقسمت على السير وفق المشيئة الربانية وأن أقف دائماً مع قيم السماء لأنهل منها وأن أساعد على نشر المحبة والسعادة والطمأنينة في كل أرجاء الدنيا ... اعرف تماماً أن لكل مناً قدره المحتوم الذي لا بد من مواجهته وأنا على أتم الاستعداد لذلك هذه رؤية صادقة... وليست أضغاث أحلام كما تقول يا بني لا بد وأن أمراً عظيماً ومصاباً جليلاً ومأساة كبيرة قد حدثت على هذه الأرض بحيث أغضبت السماء ... هذا ما ينبئني به ..هاتف اخترق وجداني وكلّ كياني وان الأيام القادمة سوف تثبت ذلك ... هذا ما يؤشره حدسي ووجداني .

الشاب / وما ذا يراودك أيضاً في هذه اللحظة يا سيدي ؟

الشيخ / أخشى على قريتي وأبنائها من مكروه قد يصيبنا جميعاً لا قدر الله... الحزن والتوجس والريبة تسيطر على كلّ كياني !!! أسئلة كثيرة تخترق عقلي وقلبي كالسهم القاتلة أراني عاجزاً .. محتاراً .. وليس لي إلا أن أسلمّ أمري إلى خالقي وأسأله الرحمة والمغفرة - انه على كل شيء قدير .



الشمر / وهذا ما كنا نرجوه من هذه الحرب ، أردنا أن تطفى ا
لأنانية والحرص والنهم.. وهذا هو الذي يقتل المبادئ التي نادى
بها الحسين وأبوه وجده .

ابن سعد / هذا صحيح .. ولكن عليك أن تخرجنا الآن من هذا
المأزق يا شمر .. حتى نسرع في تحقيق مآربنا ...تصور روعة
الموقف وعظمته ونحن نقف أمام ...يزيد بن معاوية في الشام
ونستعرض أمامه انجازاتنا الجبارة !!! ماذا سيكون الثمن المقابل
؟ كل أحلامنا ستتحقق دفعة واحدة .. وهذه هي صفقة العمر!!!!!!
فهذه الرؤوس لا تقدر بثمن .

= في هذه الأثناء يتقدم حرملة وهو من امهر الرماة في الجيش
الأموي ويقول ل ابن سعد =

حرملة / عندي حل هذه المعضلة يا مولاي .

ابن سعد / (بفرحة) حرملة هل تقول الصدق؟...أسرع يا رجل
وأسعفنا به

حرملة / بالأمس حين رميت طفل الحسين بنحره ...وبعد إن
مات وهو في حضن أبيه... شاهدت أبا عبد الله وقد توجه خلف
فسطاطه ... وحضر الأرض ودفن الرضيع .

ابن سعد / (بلهفة) هل تعرف المكان جيدا ؟

الشمر / (يضحك) أي والله وجد الحل .. لقد أنقذنا حرملة

(شمر بن ذي الجوشن يضحك / وهو واقف بجانب عمر بن
سعد)

ابن سعد / أنقذته مسرورا يا شمر؟

الشمر / افعل ذلك وأنا المس ثمرة هذا الانجاز الجبار...زعماء
الكوفة يتسابقون من اجل المجد .

ابن سعد / بل قل من اجل المال !! .

الشمر / لا فرق ... المجد هو المال ..والمال هو المجد...هذا حال
أصحاب الدنيا... لكن الملفت... هذا الموقف .

ابن سعد / ماذا تعني ؟

الشمر / أهل الكوفة ،وقبائلها ، بدأت بالتفكير المجدي !! منذ
اللحظة ، سوف تفكر بمصالحها تركت عاطفة لا تجدي ... ولهذا
تراها - منذ الفجر - تتسابق في جمع رؤوس القتلى .

ابن سعد / (يطرق قليلا ويقول)

هذا صحيح وهو ما ينسجم مع مصالحنا .. ولكن .. قل لي.. ماذا
سنفعل الآن ؟ وقد توقف الجيش .. يبدو إننا في موقف صعب .

الشمر / (بسخرية) قد يتنازل احد القادة عن رأس قتيل لهذا
القائد الذي فشل في اقتناص احد الرؤوس !!! أو ليسوا حلفاء في
هذه الحرب ضد الحسين بن علي وأصحابه

ابن سعد / الحرب انتهت الآن، كل يسعى لتحقيق مآربه .

- إلى حرملة - هيا سر أمامنا وأرشدنا
إلى مكان عبد الله الرضيع أخرج لنا
طفل الحسين .

حرملة / (بتردد) ولكن يا

بن ذي الجوشن أنا لا أجرؤ
أن أقطع رأسه .

الشمر / (بغرور و غطرسة)

من يقطع رأس الحسين

، يفعل أي شيء وأنا من أقوم

بهذه المهمة أيضا ... هيا

أرنا جثة عبد الله .

حرملة / وهل سأمنح جائزة على

هذه المهمة ؟

الشمر / من يساهم في تثبيت عرش - يزيد -

لا بد وأن يكافأ!

ابن سعد / هيا يا حرملة خذ بعض الجند ولنن هذا

الإشكال هات الجثة هنا .

(ابن سعد مع نفسه) لكن كم منا من يؤمن بذلك ؟ إلى هذا

الحال وصلنا ؟

= يطرق قليلا = وكأنه نادم ، فيعود إلى صلفه و غروره قائلا :-

لكن ... السلطة والمال ، عند يزيد وهما أسباب سعادتنا .

مرة أخرى .. مرة عندما قتل عبد الله واخمد

فتنة كبرى كادت تعصف بنا جميعا ..

ولان يقدم لنا الحل الباهر لهذه

المشكلة الكبيرة أيضا . (يضحك

الشمر بقوة وهو ينظر إلى

الجمهور وكأن لسان حاله

يقول - شر البلية ما يضحك

- لكن الشمر يقول :-

عجبا لأحوال هذه الدنيا ماذا

ترى فيها من عجائب وماذا نرى

فيها من متناقضات .

ابن سعد / (يستدرك فجأة ويقول)

ولكن يا شمر لم نسمع من قبل إن العرب

أو أي أمة فعلتها هل يعقل أن نعلق رؤوس الأطفال

فوق الرماح ؟ ماذا ستقول عنا الناس ؟ عندما نمرق من خلال

بلدانها .

الشمر / ولكن لا يوجد سوى هذا الحل ... لا بد لنا أن نخرج من

هذا المأزق ... إن الغاية تبرر الوسيلة أو الوسيلة .

ابن سعد / ولكننا مازلنا نزعم إننا مسلمون .

الشمر / وسنصرّ على إننا مسلمون ... وهذا لا ينهي حقيقة

الصراع بيننا وبينهم .





رسول الله بهذي الصورة انك تنشر زينا بين الناس يرفضه كل محبي آل بيت محمد صلى الله عليه وآله .

رقم ٢ / ولماذا ترجمني بالزيف والبهتان ؟ انك لا تعرف ما أعرف
رقم ٢ / تتكلم عن سبط رسول الله بأبشع صورة!! تزعم إن ابن علي يسعى من أجل السلطان

ومن أجل المال ؟ من يتقبل هذا المنطق؟ من يتصور ذلك ؟ سيد شباب أهل الجنة يفعل ذلك ؟ لا يا سيد لا بد وأن الأمر أكبر من هذا ، بل واخطر منه !.

رقم ٣ / وإذن ماذا يعني أمر خروجه عن حكم يزيد ؟ وهو خليفة المسلمين الآن ؟

رقم ٢ / يبدو انك لا تعرف سيرة أهل البيت الطاهر؟ بيت محمد ، هادي الأمة ومنقذها من الجهل والضلالة يبدو انك من نسل = أمية = أو فرد مدسوس من جند يزيد بعثوك لتحريف الحق .

= يرتفع لغظ واستنكار من الحاضرين الذين كانوا قد تجمهروا حول الشخصين للاستماع إلى حوارهما حيث يتعاطف الحاضرون مع محبي آل البيت / في هذه الإثناء ، رقم ٢ يكمل حديثه .

رقم ٢ / —هذا زمن يفضح أدران عذابه....زمن انهله الزيف وأعياء التحريف....أضحى مسعورا ، ينهش حتى أعضاءه.. في كل صباح نرقب مأساة بدأ الرعب يدبّ بيوم القرية منذ تولّى ابن معاوية الأمر ...!! شاع البؤس وعم الرعب بكل الأمصار.

رقم ١ / ما لجدوى من هذا القول الآن؟ هذا الموقف مزق أفتدة

المكان / قرية حدودية بين بادية العراق وبادية الشام حيث تصل القافلة التي يقودها عمر بن سعد والشمر إلى هذه القرية، وعند دخول القافلة التي تحمل رؤوس الشهداء والسبايا من آل بيت النبي محمد (صلى الله عليه واله) يحتشد عدد كبير من أبناء القرية ،حيث يصطفون على جانب الطريق من بين هؤلاء المحتشدين راهب الدير الوحيد في القرية ،حيث سكن فيها خليط من المسلمين والمسيحيين ... يرتفع بعض اللغط بين الحضور بين متسائل ومستنكر ومستغرب .. فيدور هذا الحوار بينهم .

شخص ١ / ماذا يجري؟ ولمن تحمل هذه الرؤوس؟

شخص ٢ / هذا جيش الشام أتى من ناحية الكوفة يبدو إنهم خاضوا حربا أو قل قمعوا ثورة .

شخص ٣ / (من المتعصبين ل بني أمية) ... لا يا سيد ليست ثورة ... هذا نفر خرج عن إجماع الأمة... خرجوا عن أمر السلطان خرجوا عن طاعته ، طلبا للمال والملك .

رقم ١ / هل تعرفهم حقا يا هذا ... كي تجزم ؟

رقم ٣ / من منا لا يعرف هذه النخبة ... ؟ أنا من يثرب كنت أتيت لأجل تجارة ... هذا رأس الحسين بن علي ابن أبي طالب يحمل فوق الرماح ... وكذلك رهط من آل أبي طالب وهذه النساء هم بالتأكيد عائلة الحسين وأهل بيته .

رقم ٢ / (وهو من محبي آل البيت) أهو أبو عبد الله إذن ؟ لقد سمعنا عن أبناء تتحدث عنهم .

رقم ٣ / هو بالتأكيد ؟.

رقم ٢ / (بغضب واستنكار) عجب أمرك إذ تتكلم عن سبط



عن زمن يتحسس جوهرها ، عن إنسان يدرك ما تفرز محنتها ، لا بد وأن أرضي شوقي ، وعذاباتي ، لا بدّ وأن اعرف ما يجري حولي وأنا راهب هذي القرية (يتقدم إلى قائد جيش عمر قائلاً) يبدو إن السادة أمضوا شوطاً متعباً ، إن الواجب يدعوني أن أستضيفكم .

ابن سعد / بورك فيك ، من رمضاء أطف إلى رمضاء الكوفة ومن الكوفة نسير إلى الشام .

الراهب / دير القرية ، لا يبعد إلا خطوات ، ويشرفني إن تتبعني ، أنت وكل الموكب بل كل القافلة ، بسباياها ، ستكونون ضيف الرحمن .

ابن سعد / الله يبارك الوقت المطلوب .. لكن المأوى تبعث في ، اسبقنا عافاك الله ، مسعك ، تسعفنا في رغم وجود المؤمن لدينا النفس الراحة ، وستبعمكم .



الناس ماذا نفعل ؟
رقم ٢ / كوكبة من آل نبي الرحمة تعرض في الأمصار ، بهذا الشكل المرعب... هذا الموقف يحتاج إلى أكثر من فعل ... يحتاج إلى استنكار واسع يحتاج إلى ثورة... رأس يحمل فوق الرمح ... كان نبي الرحمة طه قد قبله !!! إلى هذا الحد من التعريف وصلنا ؟ نتلاعب بالأنفاظ ، لكي نختلق التبرير الأنسب ؟
رقم ٣ / (يشعر بالخوف على نفسه وعلى تجارته التي جاء من أجلها إلى هنا فيترجع ظاهرياً ، قائلاً :- لا تغضب مني يا سيد - فأنا تاجر . لا أفقه إلا في عملي أرجوك بأن تقبل عذري.)

رقم ٢ / (بنفس الحماس السابق) ولأنك تاجر تحتسبها مثل أقرانك .. خاب الظن وخاب وخاب المسعى.. إذ تحسبها صفقة بيع وشراء .. وظننت بأن حسين بن علي قد خسر الصفقة؟ لكنك لو نظرت إلى ابعده من انك ، قد تدرك ماذا اعني الله ابتاع من الأبرار مصائرهم ... بالجنة فمن الفائز؟ لكن يبدو انك لا تؤمن إلا بالشيء الملموس لا تؤمن بالربح العاجل(يقولها رقم ٢ بنوع من السخرية مع الحاضرين .. يقف راهب القرية وهو يستمع الحوار واللغظ بدهشة وعدم تصديق لما يشاهد)

الراهب / (مع نفسه بصوت مسموع)

أصبح ما تسمع إذناي ، وترى عيناي؟ ... أحفاد نبي يسبون بهذي الصورة... وفي وقت يرفع فيه نداء الإسلام خمسة أوقات في اليوم ، في كل بقاع المسلمين أسئلة تستدرج عقلي وتحيّره ... لا بد وأن استجلي الأمر كي اعرف ما يجري هنا ... لا بد وأن اعرف قصة هذا الرأس النبوي . (هذا المقطع التالي لا بد وأن يقدم بشكل فني بامتياز... مع مؤثرات وإنارة مناسبة)

أشعر إن جميع رؤوس الإبرار الشهداء تترصدني .. تستوقفني .. كي تخبرني عن جوهر هذا الأمر... وعن ظلم الدنيا .. وأنا لا حول ولا قوة لي ، غير شكوك تلهيني بسياط الأسئلة الظمأى ، أسئلة تبحث



المكان / في باحة الدير ، الراهب وقد استضافة قادة القافلة
 الوقت ليلا يدور حوار بين الراهب وبين عمر بن سعد وشمر
 بن ذي الجوشن وحكيم بن الطفيل وحرملة بعد الانتهاء من
 مأدبة العشاء ، حيث يبدأ المشهد بقدم احد الرهبان بتقديم
 الشاي والقهوة ، وأثناء ذلك يبدأ الراهب حوار مع القادة
 لكونه متلهفا لمعرفة حقيقة الأمر ومعرفة كل شيء عن أصحاب
 هذه الرؤوس وعن السبايا .
الراهب / أكرر شكري على تليبتكم دعوتي لاستضافتكم في
 بيت الرب وأنا لا أدري من أين أتيتم بالضبط ، وكذلك لا ادري
 ما قصة أسراكم ... ما قصة قتلاكم ؟
 ولماذا تحمل فوق الرماح المرتفعة ؟ رؤوس قراصنة هذي ؟ أم
 ثوار ضد السلطان .
ابن سعد / فكما أخبرتك في السوق أنا قائد هذا الجيش
 وهذه الحملة ...
الراهب / عذرا يا سيدي تتكلم عن أي حملة ؟
ابن سعد / (يحاول إخفاء الحقيقة)
 أمر خليفتنا في الشام أن نتوجه صوب الكوفة إن نخدم
 نيران الفتنة !
الراهب / هل خرقوا أمن الدولة ؟!!!! من هم ؟
الشمر / (يحاول مساعدة ابن سعد)
 أنا من فرسان الكوفة .. أدعى شمر ساعدت القائد في
 إخماد الفتنة .
الراهب / في أي مكان وقعت تلك الأحداث ؟

الشمر / في شمال الكوفة ... في واد أطف .
الراهب / هل كان الأمر خطيرا ؟ حتى تقطع كل رؤوس القوم ؟
الشمر / بالطبع خطير ... وخطير جدا ... مذ جاء الإسلام
 إلى هذي الأرض وهذي
 المجموعة تزرع فتنا ومشاكل لا حصر لها .
الراهب / هل هم أعراب ؟ أم من ملل أخرى ؟
الشمر / بل هم أعراب .
الراهب / ولن ينتسبون ؟
الشمر + ابن سعد / (بصوت واحد) ها ؟
الشمر / ليس مهما هذا الآن فالإنسان يقاس بفعله !!
 وبجوهر إخلاصه لخليفته
 أما نحن القادة ... فعلينا التنفيذ الفوري ... وكما تعلم ... إن
 بلاد الإسلام الآن...
 تخضع لحكم خليفتنا يزيد ابن معاوية ... ما أن يأمرنا ، حتى
 نتسابق في التنفيذ .
ابن سعد / (بارتياح) هذا حق ... حفظ الأمن وحفظ السلطان
 ... هو حفظ الإسلام
 وهو الجوهر ... وسنسرع في فجر الغد ... ليبري مولانا ما
 أنجزناه
 وسيكرمنا حتما هذا هو ما نشاق إلىه فجر الغد سيكون
 عظيما سنحقق فيه كل الأحلام .
الراهب / عذرا يا سيد هل حدثت معركة بين الطرفين ؟

المكان / في باحة الدير ، الراهب وقد استضافة قادة القافلة
 الوقت ليلا يدور حوار بين الراهب وبين عمر بن سعد وشمر
 بن ذي الجوشن وحكيم بن الطفيل وحرملة بعد الانتهاء من
 مأدبة العشاء ، حيث يبدأ المشهد بقدم احد الرهبان بتقديم
 الشاي والقهوة ، وأثناء ذلك يبدأ الراهب حوار مع القادة
 لكونه متلهفا لمعرفة حقيقة الأمر ومعرفة كل شيء عن أصحاب
 هذه الرؤوس وعن السبايا .
الراهب / أكرر شكري على تليبتكم دعوتي لاستضافتكم في
 بيت الرب وأنا لا أدري من أين أتيتم بالضبط ، وكذلك لا ادري
 ما قصة أسراكم ... ما قصة قتلاكم ؟
 ولماذا تحمل فوق الرماح المرتفعة ؟ رؤوس قراصنة هذي ؟ أم
 ثوار ضد السلطان .
ابن سعد / فكما أخبرتك في السوق أنا قائد هذا الجيش
 وهذه الحملة ...
الراهب / عذرا يا سيدي تتكلم عن أي حملة ؟
ابن سعد / (يحاول إخفاء الحقيقة)
 أمر خليفتنا في الشام أن نتوجه صوب الكوفة إن نخدم
 نيران الفتنة !
الراهب / هل خرقوا أمن الدولة ؟!!!! من هم ؟
الشمر / (يحاول مساعدة ابن سعد)
 أنا من فرسان الكوفة .. أدعى شمر ساعدت القائد في
 إخماد الفتنة .
الراهب / في أي مكان وقعت تلك الأحداث ؟



ابن سعد / لم تكن الكفة متساوية بين الطرفين...نحن الكثرة... وهم القلة!

= ثم يتكلم بنوع من الوضوح بدون إدراك ، رغم حرصه على كتمان الأمر =

هم رهط من أصحاب الحسين ابن علي وكذلك أسرته .

الراهب / ومن هو الحسين ابن علي ؟

الشمر / ((مرة أخرى يحاول إنقاذ ابن سعد))

في الواقع لا نعرفهم نحن ... لا نعرف من أين أتوا نحن القادة لا نسأل...بل نشرع في التنفيذ الفوري ... لكن يا أخي الراهب لم تسأل ؟

الراهب / حب الاستطلاع فقط...لاشيء سوى ذلك .

الشمر / كانوا اقل من مائة أكثر من سبعين .

حرملة / (يتدخل) أطفال ونساء وشيوخ...وشباب لكنهم قاتلونا ببسالة الأبطال .

الشمر / (مقاطعا حرملة بغضب)

من أنطقك بهذه الساعة يا حرملة ؟ ليس من اللائق إن تتدخل فيما لا يعنيك .

حرملة / (بغضب أيضا) بل يعنيني يا شمر ... فأنا أمهر رامي سهم في الجيش الأموي مثلك لا يمكن إن يتجاهلني ... أو يتجاهل فعلي أو يتجاهل قومي ومكانتهم .

الراهب / ((يحاول استغلال هذا الخلاف لمعرفة المزيد ((

لا يمكن إن أتدخل بين القادة ، ولكن السيد حرملة هو أيضا من قادة هذا الجيش الذي اشترك في المعركة أليس ذلك صحيح ؟

الشمر / (يحاول ترضية حرملة قائلا (هو بالضبط كما تصفه ... هو أمهر رام .. وهو شجاع في الحرب ... أنقذنا من أكبر محنة !

((**حرملة** يضحك بينما يوجه الراهب سؤاله إليه مستفسرا عن دوره المتميز في الحرب))

الراهب / أية محنة يتحدث عنها السيد شمر ؟ إلا تخبرنا عن دورك يا سيد حرملة ؟

حرملة / (يستمر بالضحك المصحوب بنوع من الغرور)

الراهب / (مندهشا) ولماذا تضحك يا هذا ؟ هل أضحكك سؤالتي .

حرملة / بل أضحكني دوري يا أبتى ... فانا لم ارم غير سهام معدودة !!

السهم الأول كنت قتلت به طفلا في حضن أبيه .

الراهب / (بتعجب واستنكار) تقتل طفلا في حضن أبيه ؟
حرملة / طفلا عطشاننا .. كان أبوه يريد استغلال الموقف ، حتى يتغير مسرى الحرب فأتى به يطلب ماء للطفل ...



كي أتفادي أمرا لا تحمد عقباه!!!!.

الراهب / ((باستنكار واضح لكون لم يعد يحتمل ما يسمع من بشاعة وقسوة))

هل تقتل طفلا يتلظى عطشا؟ وأمام جميع الجند؟ هل هذا فعل الأبطال؟ (ثم يستدرك) أو هل مات الباقون بنفس الحالة؟
حرملة / صحراء في واد، في أرض تسمى كربلاء حاصرناهم من كل جهات الوادي... ومنعنا عنهم ماء الفرات ... نهر كان على مقربة منهم .

الراهب / (يلتفت إلى حكيم ابن الطفيل) لم يبق إلا السيد.
ابن طفيل / (يرد) اسمي حكيم ابن الطفيل .

الراهب / أفلا تدلون أنت بدلوك أيضا؟

ابن الطفيل / دوري اقتصر على منع الحسين وأصحابه من الاقتراب من نهر الفرات .
وكنت وضعت الآلاف من الجند أمام النهر ... كي نقتلهم عطشا!!!

لكن الخطة لم تنجح بالكامل!.

الراهب / ولماذا لم تنجح؟ هل يعقل إن يأتي من يهزم هذا الجيش؟

ابن طفيل / لا يفعلها إلا بطل خارق.... قل وجوده... انك لا تعرف صولات العباس؟

انك لا تعرف من هذا الفارس؟ اخترق الجيش وحطم كل دفاعاته... وتزوّد من ماء الفرات أكثر من محاولة حدث ذلك .. أمام جميع القادة والجند.

الراهب / (بلهفة) من ذلك الفارس يا حكيم بن الطفيل؟
اخبرني عن العباس؟ بالله عليك ... هل حقا هل حقا حمل الماء إلى العطشى وسقاهم في تلك اللحظة؟

ابن طفيل / العباس بن علي بن أبي طالب ... هو من كان يحمل لواء الحسين في الحرب..

لكن القائد شمر ابن ذي الجوشن هو من أنقذنا في تلك المحنة.

الراهب / كيف حدث ذلك؟

ابن طفيل / حين أتى في ثالث مرة ، أعني العباس ، أمر الشمر بأن يترك حتى يصل إلى النهر لكن حين أراد العودة.

الشمر / (يقاطع ابن الطفيل قائلا)

لقد استأت كثيرا منه ... فتدفق حقد في قلبي ... وبدأ يغلي ... وأنا انظر لأفعال العباس يخترق صفوف الجند ... ويوقع عشرات القتلى ... ثم يعود إلى العطشى بالماء!!!!!!.

ابن الطفيل / لكنك يا أبتى لا تعرف من يكون العباس؟



فتصوّر يا أبتى ، ماذا سيكون شعور الجند وهم آلاف من كل قبائلنا ، حين يرون الطفل الضامي ، وأبا يستجد كي ينقذه... تأثير الموقف يصبح أكثر من فعل السيف ، بتلك اللحظة... ولهذا قررت بأن احسم هذا الأمر... فرميت الطفل بنحره!!





الحرب ٩٩.

حرملة / رميت سهاما كثيرة ، لكن أهمها كان ما قلت لك إضافة إلى سهم آخر...

كان قد استقر في الحسين قائدهم... عندما كان في لحظاته الأخيرة... فأردت أن أنهى المشهد .

الراهب / (مع نفسه وكأنه يخاطب الجمهور)

يا للهول يا رب العزة أدركنا ...

حرملة / (بحقد واضح) لم تكن يا أبتى معنا كي تشاهد كيف كانت تقا تل تلك النخبة رغم قلة عددهم ورغم تلقيهم لآلاف الطعنات من السيوف والرماح ظلوا يقاتلون بشكل مذهل أوقع في صفوفنا مقتلة عظيمة... وبشكل خاص الحسين بن علي .

وأخوه العباس ... بل كل الإخوة والأولاد... من آل البيت ، وكذلك كل الأصحاب ولذلك ازددنا حقدا عليهم .

الراهب / (يريد معرفة المزيد)

من هم آل البيت ؟ عن أي بيت تتكلم ؟

ابن سعد / إذن لنا يا أبتى فورأنا غد متعب... ولا بد لنا الآن أن نذهب للراحة والنوم لقد تكلمنا كثيرا... نشكرك كثيرا على ضيافتك... ننقل هذا إلى مولانا الخليفة في الشام .

الراهب / (بنوع من الحسرة)

كنت أتمنى أن أسهر معكم إلى ساعة متأخرة... لكنكم لستم أشخاصا عاديين... ولكم مهماتكم... اعذروا تطفلي...

وكثرة أسئلتى... لكن كما قلت لكم حب الفضول دفعني لمعرفة كل شيء... والآن تفضلوا معي لكي تخلصوا للنوم والسكينة ..

الشمر / اسكت بين الطفيل ... إن لا أنكر شجاعة العباس ولا أنكر من يكون

فأنا اعرفه أكثر من غيري !!!!!! ولهذا قررت بأن يهجم كل الجيش عليه... كي تتمكن منه في أنسب وقت ، حين يكون محملا بالماء... فسيشغله ذلك الحمل وستبدد كل قواه .

ابن طفيل / أنا من كمن خلف نخلة ، وقطعت يمينه ، لكن العباس ظل يقاتل بيساره..

حرملة / وهنا قمت بدور حاسم... حين رميت السهم الثاني في عين العباس... حينئذ فقد تماسكه... فتوالت السيوف والرماح والنبال عليه من كل اتجاه... لكن حين قطعنا يده اليسرى... حسم الأمر.....!.

الراهب / (يكلم نفسه) آية وحشية في هذا العالم !! هل يعقل إن يكون الناس بمثل

هذه القسوة... لكنني لم اعرف حتى الآن من هذه النخبة المقتولة؟

ولن ينتسبون؟ ولماذا هذا الفعل الحاقد ؟!!!!!!

(ثم يعود الراهب مخاطبتهم ثانية)

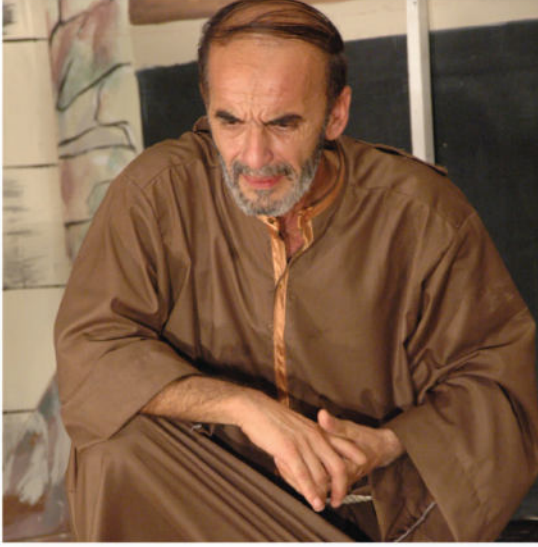
قلتم إن القوم عرب ؟ من هم ؟ ولن ينتسبون؟

الشمر / هم عرب بالطبع وإلا كيف يكون لهم طمع في السلطة..!

الراهب / تقصد لهم حق في الخلافة ؟ خلافة المسلمين ؟؟

الشمر / كلاً... بالطبع تلك فئة خرجت عن إجماع الأمة... هذا هوب الموضوع.

الراهب / (إلى حرملة) هل يعقل انك لم ترم إلا سهمين في



بعد إن يودّع الراهب ضيوفه حيث يأخذهم إلى غرف النوم في داخل الكنيسة يعود مرة أخرى إلى الساحة الداخلية الوسطية للكنيسة حيث يوجد الرأس الشريف للإمام الحسين بن علي عليه السلام يحاول الاقتراب منه ويتأمله ملياً وهو في حالة مخلوطة بين الحزن والبكاء... ثم يتحرك جانبا لكي يحضر أدوات الرسم محاولاً رسم الرأس الشريف ... بعد لحظة يتوقف... حيث يسطر عليه الدهول... يقف حائراً لا يدري ماذا يفعل... لا بد لهذه الانفعالات... إن تتجسد جيداً بحيث يحس بها المشاهد... ثم يحاول فجأة إن يسترجع ما دار بينه وبين قادة الجيش الأموي من حوار حول الرأس الشريف ، فيعتصره الألم... ثم يبدأ بمخاطبة نفسه بصوت يسمعه الجمهور :-

الراهب / لقد أرعبني ما سمعت من هؤلاء القادة... هل يمكن أن يصل هذا الكائن الذي أكرمه الله وفضّله على جميع مخلوقاته إلى

هذا المستوى من الانحطاط... والبشاعة

6... جيش يتألف من آلاف الجنود ، بكامل عدتهم ، يقاتل مجموعة.. من الرجال لا يزيد على مائة ، من بينهم أطفال ونساء !!! لا بد لي من معرفة جوهر الأمر... لن أتركهم حتى أعرف حقيقة ما جرى لقد حاول القادة.. أن يخفون عني الكثير..... بيدوان الأمر خطير ، وان فعلهم قد أغضب السماء أشبع ما في الأمر ، حين رأيت رأس طفل فوق الرمح ، لم نألف هذا من قبل .

= يقترب الراهب من الرأس الشريف الذي تسلط عليه إنارة قوية ، لتعكس النور الذي يسطع منه - يتقدم الراهب - بوجل واحترام شديدين وهو يشعر بهيبة النور المنبعث..

من الرأس الشريف فيخاطب نفسه بكلام مسموع =:-

الراهب / هذا نور قدسي ، أستشعره يخترق كل كياني ... هذه لحظات قدسية خالدة جمعتني بالأبرار نعم إنهم شهداء ... وإنهم قديسون.... إحساسي لا يخطئ.... هذه الكوكبة من الشهداء انتفضت من اجل مبادئ سامية عليا هذه كوكبة من أنصار الرب.

((في هذه الأثناء يسمع صوت الإمام الحسين عليه السلام

، حيث يسمع الرأس الشريف))

وهو يتكلم - صوت الإمام الحسين- يتجسد مع مؤثرات خاصة ، حيث ينطق من جهاز تسجيل ، حيث يظلم المسرح أثناء خطاب الإمام الحسين أو أي من الشهداء الآخرين وتبقى مسلطة على الرأس أو على أرواح الشهداء الذين سيشاركون في هذا المشهد وهذه الأرواح تمثل - حبيب بن مظاهر الأسدي - مسلم بن عوسجة - زهير بن





القين وهم من ابرز أصحاب الحسين .

صوت الإمام الحسين / سبّحت بحمدك ، مذ كانت لغة الحمد... وجبلت على أنسام شذاك ولهي حضرة نور بفؤادي... كان يشد على ذاكرتي إن تحيا فيه أن تهل منه .. قيس من نورك كان وما زال ويبقى .. فصلوا رأسي عن قلبي لكن النور يرشد عقلي لمرتمي... نورك يا رب العزة لا يدركه إلا العشاق الممتحنون بزيف الدنيا وأنا تعمرني بهجته نفسي ، حيث أصبح بحمدك ، في هذه اللحظة .. لحظة رأسي فوق الرمح!!! أمل إنني قد نذت مشيئة ربي !!! ضمخت دمي بصدّة أمني من أجل سعادة هذا الإنسان ... ومن أجل الإصلاح في أمة جدي..

(بسم الله الرحمن الرحيم)

والعصر ... إن الإنسان لضي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... وتواصوا بالصبر

(صدق الله العلي العظيم)

الراهب / أثناء خطاب أبي عبد الله ... تسيطر عليه حالة من الذهول والانبهار والدهشة حيث تختلط انفعالات عديدة فهو يكاد لا يصدق ما يسمع ويشاهد ثم يصرخ:-

يا الله ماذا أسمع؟ هذا رأس نبي يتلو كلمات قدسية ... يتهدّد في قلب الليل أدماء في كل زمان ؟ أمسبح في كل قضية ؟؟ أنا الآن أمام رسول آخر؟ من يدرك محنة أسألتي في هذا الليل؟؟.. وبيت في قلبي أنسام الراحة...من ؟

((يظهر شخص من احد جوانب المسرح ، حيث تسلط الإنارة عليه وهو يلبس ملابس بيضاء ... ملابس الشهداء هذا الشخص والأشخاص الذين سيشاركون في المشهد بجانب الرأس يمثلون أرواح الشهداء - حبيب بن مظاهر - زهير بن القين... ومسلم بن عوسجة وهم أصحاب الحسين الذين استشهدوا في واقعة كربلاء))
روح مسلم بن عوسجة الشخص الأول:

هذا سبط رسول الله محمد... ليس نبيا يا عبد الله ... إن ابن الزهراء البتول سيّدة نساء العالمين ... جدّه طه الأمين ، المذكور في التوراة والإنجيل .

الراهب / (يزداد رهبة واحتراما وانبهارا لما يشاهده ويسمعه فيعود لمخاطبة نفسه :-

لحظات فوق مستوى الإدراك.... حيث ترتبك الأشياء أمامي ... يعجز فكري يخفق قلبي... تلهث روحي... فليدركني الرب برحمته وتتجلى كل الحقيقة أمامي... فليدركني الرب برحمته .

== يدخل شخص آخر من الجهة الثانية من المسرح وهو يمثل روح حبيب بن مظاهر =

صوت حبيب / لا تحزن يا عبد الله ... هذي لحظات كشف مباركة

، يغمرك بها رب العزة ... وأنت الآن في حضرة الرأس المقدس انه رأس أبي عبد الله الحسين بن علي بن ابي طالب .

الراهب / إذن هو حقاً بن الزهراء البتول .

حبيب / أي والله ... إن ابن سيّدة نساء العالمين ... الإنسية الحوراء!!! .

الراهب / وإذن هو رأس نبي يحمل فوق الرمح ؟؟!! أنا في حالة حلم أم انه شنار اللحظة يستغل عقلي... احتاج لبث هيامي إن اصرخ حتى ينزف صوتي حد الموت ... أو يختل كيان الساعة... حتى أدرك موقع قدمي .

= يدخل من قلب المسرح باتجاه واجهته شخص ثالث وهو يمثل روح زهير بن القين =

زهير / أدركت الحكمة يا راهب ... فلكل زمان قربانه... ولكل زمان فرسانه.. ولكل زمان أدواره ..

= **الراهب** يحاول التقاط أنفاسه واستجماع قواه وقد أدرك حقيقة ما يجري حوله ولذلك ..

يريد معرفة المزيد فيبدأ بطرح الأسئلة :-

الراهب / هل قتلوه وهم يعرفونه حقاً ؟؟؟؟

الأشخاص الثلاثة مجتمعين يردون عليه قائلين ومستشهدين بهذا البيت الشهير :-

- قتلوه بعد علم منهم أنه خامس أصحاب الكساء -

(هذا البيت من الشعر يمكن إن يؤدي بعدة أشكال وأطوار وحسب

ماء.....

في وحشة رمضاء - أطف - لكن مغالب غدرهم سبقت طلبتي ...
فتدفق وهج عبد الله في اليوم العاشر .. وحملت دمه
لأقدمه قربانا لله الواحد... كي ينصفني من ظلم القوم ... ورجعت
... ورجعت بطفلي مذبوحا حيث عيالي عطشا .

الراهب / يا هول النفس الأمانة بالسوء ... نقاتل في ظلمات صماء
.. حين يطال الحقد رؤاها يتلبسها كلب مسعور .

صوت الإمام الحسين / لن أنسى موقف أصحابي في قلب الليل
ليل العاشر قلت لهم : هذا الليل اتخذوه جملا ، فالقوم يريدونني
وحدي انتم في حل من أمري..

أصحابي رفضوا تركي - قالوا-

أصحاب الإمام الحسين /

نقتل دونك حتى نضمن خلدا أبديا ... قرب الكوثر

هل نترك سبيط نبي في هذه المحنة ؟

ماذا سنقول غدا لرسول الله؟

نقتل دونك يا مولاي ... وتصلّي أنت علينا

لتكونون الشاهد عند رسول الله

لتكونون الشاهد عند رسول الله .

الراهب / (يخاطب الإمام الحسين)

يا مولاي أصحابك مثل حوار عيسى ... وهبوا أنفسهم للرب ...
بعد الصلب حين رؤوا إن الشر توزع في كبد العالم ، والمكر استنفر
طاقته القسوى كي لا يعلو صوت الحق ... صوت الإيمان ... فانتصر
الباطل في جولات عدة ..

لكن الله هو الأقوى ينصر رسله ينصر أحبائه .

زهير / البارئ يعرف كيف يصون تعاليمه !! ولهذا نهض الإسلام ،
ليعيد الحق وينصره ، ويقهر مكر الأشرار ... الفعل الخير لا يغنى ...
ينمو في الأرض حتى يثمر في كل الدنيا .

حبيب / لكن الردة ، ما برحت تتقاتل من أجل الموقع خسرت موقعها
في الإسلام

فتحاول مد مغالبها ألان ... كي ترجعنا لعذابات الماضي للبؤس
وللجهل وللحرمان وللظلم الردة تتلون في كل زمان ومكان
، تحت شعارات خلافة ...

لكن يبقى منهجا الغدر ... منهجا القتل منهجا الإرهاب
والتهجير القسري ..

فكما فعلوا مع أبي ذر الغفاري يفعلونها في زمان ومكان تحت ذرائع
مختلفة !!!!!!

ولهذا كان علينا إن نعلي صوت الحق ، دستور الله ، كان علينا إن
نمنحه دفقا بدماء ظاهرة كان لزاما إن تعلق آيات البذل حتى نقرهم



(رأي المخرج)

صوت الإمام الحسين / (يرد على الراهب):

الحق أقول: القسم الأكبر كان يساق كماشية ظلت مسارها ،
في ويوم عاصف ... كانوا جندا في جيش يزيد والقسم الآخر
كان تتقب حتى لا أعرفه .. كانوا بعضا من وجهاء الكوفة ... ممن
كتبوا لي أن أقدم لإقامة دولة الحق والعدل وقد كانوا من أنصار
أبي حيدرة الكرار لكن الحرص على سلطان زائل جعلتهم يرتدون
ويشرون بثمان بخس ..

الراهب / التاريخ يعيد عوقه فيسوع أيضا حاربه أبناء
يهود ... حاربوه وهم يعرفون تماما إن الرب أرسله عدلا وسلاما
ومحبة أرسله الرب لكي ينقذهم من زيف الدنيا وغوايتها .. لكنهم
صلبوه .

صوت الإمام الحسين / صلبوا نبي الله عيسى ، حتى لا تعلق
كلمة صدق في هذا العالم ...

حتى ترضي أنفسهم فهم مآربها ... لكن الحرص عقيم - لا
يعقبه غير الداء .

الراهب / المال إذن من غيرهم ... بل أعماهم أطماع تتبع
أطماعا

صوت الإمام الحسين / المال وسيف لا يرحم سيف أعمى
يقتل بالظن والشبهة !!! لا يستثني أحد حتى طفلي عبد الله
ذبوه بسهم بين يدي قدمت لهم طفلا عطشاننا وسألتهم جرعة

سوط الجلادين!!!

صوت الإمام الحسين /

هذا زمن ، خلط الشيطان تراكيبه ، وأستحضر كل ضغائنه
حتى أصبح وجهها آخر لصدى الشر لم آت لقتال القوم
... لكن ... لما أدركنا

إن التحريف يحاول مسعورا قتل تعاليم الإسلام ... أدركنا إن الفتنة
مدت كل ..

مخالباها كي تسلب منا نور إرادتنا .. وأراد يزيد إن يسقينا كأس
الذلة

صحنا هيهات ...هات منا الذلة... يأبى الله لنا ذلك
ورسوله!!!

وإذن، كان لزاما إن يتدفق هذا الجود ، كي تبقى أحلام الأجيال
المستلبة، بمعين لا ينضب أبدا.

الراهب / مازلت اصعد أسلتي حتى تتكشف لي أبعاد الرؤيا
فأعينوني بالله عليكم يا أحباب الله وأوداه!

حبيب / آلاف الكتب المخطوطة بعثت لأبي عبد الله ... زعماء
الكوفة طلبوا أن يظهر فيهم مولاي السبط ... ليقيم العدل ...

وليصنفهم من حكام ظلمة... ولذلك صار
وجوبا أن ينهض مولاي السبط ... فهو إمام معصوم ونهضنا نحن
معه .

صوت الإمام الحسين /

ولقد أرسلت رسولاي يستجلي أمر الكوفة أرسلت ابن عقيل - مسلم -
ابن عمي ... لكن لم أعرف إن الكوفة غدرت إلا حين قطعت الشوط
الأكبر صوب الكوفة قدر واجهناه بصبر الأحرار .

الراهب / (يخاطب الإمام)

واجهتم أحتاد وغدر القوم ، بسماحتكم ... هذا فعل نبي
وامام....

فعل قلّ نظيره!! سيكون له تأثير خلاق في أرجاء الدنيا... في كل
زمان ومكان فعل تستلهمه الأجيال ليكون لها نبراسا يرشدها،
اشعر إن شعاعا يغمر روعي الآن ، فأهيم بأيات مداه..... ومداه
لا تدركه..

الأبصار.... لكن قلبي ، يعرف أين يكون هواه الرؤية صارت عندي
واضحة... هذا توفيق من عند الرب !!! شكرا لله حمدا لله .

((يسجد الراهب على الأرض ليشكر البارئ جل جلالته على
هدايته له))

زهير / الخالق أدرى بعبيده... يدرك سر رسالته وقضاء
الخالق حتمي.

الراهب / (يحاول الاقتراب من الرأس الشريف أكثر ويخاطبه)



أتحرق شوقا يا مولاي ، كي احضن هذا النور ، واقبله!! حتى انفض
عني وهم الأيام وضلالتها ... نور يلهمني ما تصبو النفس إليه...
يا مولاي ...

اغفر شوقي... وامنحني شرفا قد لا ادركه الا في هذه اللحظة ...
ساعدني يا بن رسول الله ، كي تكتب هذه اللحظة في ذاكرة الدنيا
... ذاكرة الخلد بمداد من نور ابهى هذا شرف وضعته الاقدار
امامي ، وأنا اعجز عن تقديم الشكر لرب العـــــــزة.

زهير / لك ما تطلب يا عبد الله .. لكن العبرة ليست في هذا المطلب
.. العبرة في افكار الناس وضمائيرهم ومناهلهم ، لا بد لكل
الاخيار ، إن يجتمعوا حول منابع مصدرها الهام سماء لاتخطيء ابدا
.... بالايمان تصان النفس .. وبه تسعد .

(**الراهب** يحتضن الرأس الشريف فيقبله ويبكي بكاء شديدا حتى
يسقط على الارض)

مسلم بن عوسجة / (يحاول انهاض الراهب)

لا بأس عليك .. انك عبد صالح قل نظيره ... انفض وتجمّل بالصبر
واعرف ابن يكون الحق لكن - هذي - حال الدنيا .

الراهب / (يقوم بمساعدة مسلم ثم يتراجع الى الخلف وهو يمسح
دموعه ويقول :-)

تدعون الناس لنور ينقذهم من آفات الشيطان وضلالته وتلاقون
صنوف التقتيل هذا ما لا يتحملة الادراك البشري ... كان يسوع
الفادي ينهج نفس النهج

موسى انقذهم من فرعون والقى عصاه التي لقت ما يأفكون !.
لكن .. رغم براهين الله ، ومعاجزه ...
مازال الشيطان يوسوس لنفوس أمارة بالسوء واذن لا ينهض حب الأ
بصفاء القلب وإخلاصه ... لتعاليم الباريء جلت قدرته .

الراهب / مذشــــاهدت الموكب، في سوق القرية ... احسست
بنور قدسي .

يخترق فــــؤادي .. نور ينشد آياته .. من شاهدكم ، ادرك
ذلك ..

اهل القريــــة لا يعرفون من انتم ، لكن النور
اســــتشرى ..

في قلب الناس ، فازداد تعاطفهم معكم ... من منا يجهل نورا
مصدره الرب .

((ينطلق صوت من عمق المسرح مع مؤثرات مناسبة حيث نسمع
هذا المقطع

المسجّل))

--- عندما علّق الربّ قناديلهم في السماء ، كانوا قاب قوسين
أو أدنى ..

يحفّون بالعرش ويغمرون بسراجهم كل الكائنات . ---

حبيب / السلام عليك يا ثار الله وابن ثاره والوتر الموتور

اشهد انك كنت نورا في الأصلاب الشامخة

والأرحام المطهّرة لم تدجسك الجاهلية بانجاسها

ولم تلبسك من مدلهمات ثيابها ، واشهد انك الإمام

البر التقي التقي ، وان الأئمة من ولدك ، كلمة التقوى

وأعلام الهدى والعروة الوثقى .

زهير / الدنيا :أخذ وعطاء ... وكتاب مفتوح ... أوراق بيض
.. تملأها ..

أنى شئت ... لكن احذر ... انك مسؤول عما تكتب ... فحذاري
من أهواء النفس ... فاستدرك كي تتقد نفسك .

الراهب / في أحيان ... يرتبك الإدراك لدينا ... حتى إن كنا رهبانا
، فالعقل لدينا محدود ..

ورؤانا قد تخضع لظروف قاهرة ، او قد تحجب عنا حقائق كبيرة ...

ماذا نصنع يا مولاي ؟

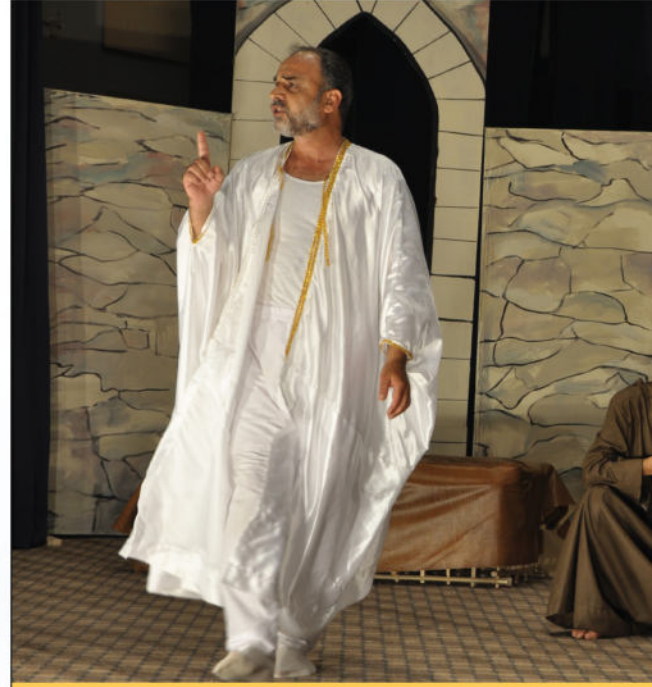
صوت الإمام الحسين / اسأل نفسك واستوقفها ... حاجج
كل جذورك ..

واعرف موطن قدمك ... وكذلك حاور قلبك ..

واســــتكشف أسرار هــــواه ..

ثم اعرف ماذا تبغي في دنياك .. رسّخ بنيانك بالحب والإيمان

لا تتعصب .. واعمل ... اعمل بيوتين وثبات ، لا لتردد في لحظة حسم ..



صوت الامام / لو ادركنا لب المحنة زال الوهم .. المحنة تنهض ،

حين يغيب الدور الفاعل للناس ولهذا ينهض دور القادة - وهم
القلة- وهم القربان الازلي....

حين يكون البذل مقرونا بالإيمان المطلق!!!

أفة اهل الدنيا ... جهل، ومكابرة ، ورياء .

نهم يسبقه وهم يعقبه ندم ...

وتعود النفس لمحنها ... الامر الصعب

إن ترضي كل الناس

والأصعب إن ترقى بهم ...

وهم ، تتقاذفهم أهواء شتى يحتاج الأمر الى إيمان مطلق

والى بذل دون مقابل ، والى أجيال تعرف مسيرتها
ومزاياها.....

لا بد لنا إن ننقذهم من مكر التحريف وضلالته !!

من يتراجــــع عن إيمانه ، في إصلاح الناس ...

يفقد دوره حين يفضل ذل المال وخديعته .

الراهب / جهل ، لا يورث غير البؤس ... ومكابرة خرقاء .. لكن العالم
قام على فعل الأضداد من رحم الظلمة ، يبيغ نور الفجر .

مسلم / ليس جديدا إن يتذكر بعض الناس لتعاليم ونهج الرب . ولنا
في محنة كل القديسين دروسا لاتسى ، كان الاثار يحفزهم لنشيد

تسمو فيه آيات لله الكبرى .

حبيب / عيسى روح الله ، كلمهم في المهدي ، قدم اعجازا قدسيا ،



الراهب / (بانبهار وخشوع)

اشهد انك قبس من نور الرحمن هذه القدوة تبهروحي.

(يا ليتنا كنا معكم سيدي فتفوز فوزا عظيما =)

أطماع الدنيا ، لا تغري احباب الله ،ولهذا صار الفرز ضروريا بين الضدين فهو الجوهر .

الراهب / وله أســـــمى..مذ وجهت كياني صوب الإيمان ... ونذرت

العمر بأن احببنا من اجل تعاليم الرحمن ، واجهت صعابا في مسعاي.

صوت الامام الحسين /

أخبرتك إن الدرب طويل ... لكن الجوهر في النية والعزم ..

أي سلوك تسلكه ، تحصد آثاره . بسم الله الرحمن الرحيم ..

((وليس للإنسان الأمامسى .. وان سعيه سوف يرى))

صدق الله العلي العظيم

الراهب / التحريف وحرص أعمى من اجل منافع زائلة.....

بلبت كل الأديان بها ... فانحرفت بعض نصوص - الإنجيل- كما في - التوراة-

حرّفها أعداء الله... فتوزعنا مللا شتى... نتقاتل من اجل غرور الدنيا ...

واسمى تشهداك يا مولاي خير دليل ..

مازال يمارس وهمه ويمارس لعبة تدمير كيانه ، ما زال يمزق كل الأحلام ليزهو بلذائده..

واذن من يغنم آلاء اللحظة ويقود النفس الى سعي تتكشف فيه أقداس الرؤيا يدرك مغزى سفري ، يدرك أبعاد ندائي وهو يقدم أكثر من برهان ساطع ،وإذا كنت..

نهضت الان وعدت أليكم ... هل منكم من يسعف نور ندائي؟ لا تبتسوا كلمات....كلمات..كلمات

صرنا نحترف الزيف لنمنع في تدمير الذات .. إن عدت الآن أليكم لا أضمن حتى إن يوضع رأسي فوق الرمح !! اذ قد يؤكل في زمن الجوع او قد يركل في زمن الخوف او قد يشري ويباع في عهد سماسرة الإنسان .. سعي مقرون بالقربان!!!!!!

بسعاده هذا الإنسان ، وستبقى الحرب سجلا وسأتيكم في كل زمان حتى لو لم يتوفر من يحمل رأسي فوق الرمح لهذا قد رخطّ بآيات اللوح المحفوظ..

الدرب طويل السعي له ما يسعفه (والعصر إن الإنسان لفي خسر) والمعنة اكبر من أي رهان ... فلتنتبهوا من أدران النفس ولتنتبهوا من غاياتها في ظل وساوسكم والآن انا ماض في السعي كل رسائلكم ما زالت، وكذلك يبقى نور دمي المسرى يأخذ بعد الكون ، بعد الأفلاك ومعجزها ، هو اكبر من خوف او قهر أو جلال وكذلك اكبر من فثة هذا المسرى كان نشيدا في ملكوت الله ثم تجذر في رحم الأرض ولهذا كان اليوم العاشر يوم حصاد كان الديباجة في السعي ثمر قدسي

صوت الامام الحسين / (حيث يوجه الإمام خطابه الى العالم

... أثناء إلقاء هذا الخطاب يمكن عرض فيلم سينمائي يمثل جوانب من واقعة أطف لئيسجم مع خطاب ابي عبد الله الحسين ، كذلك

يمكن عمل مونتاغ لعدد من الأفلام الوثائقية القديمة او المعاصرة فيها ألام النظام البائد الذين كانوا يعذبون أبناء العراق ، او بعض الأفلام عن المقابر ، الجماعةية وأفلام عن نضال الشعب العراقي ومقاومته ،أفلام عن الانتفاضة الشعبانية الخ .

((خطاب الإمام عليه السلام))

حين سموت بلحظة عشقي ومنحت دمائي كل مأثرها ومضيت أصعد من آيات الإيمان وحملت على الرمح نبوءة هذا العالم وتوجهت بنوري عبر الأزمان، كنت أناشد روعي إن تدرك بهجتها...

فتفتحت لها ألف طريق العالم يبقى مهووسا بمكائده ...وغوايته حلت منذ اليوم الأول في جسد الأرض. وإذا كنت أتيت أقدم رأسي قربانا لنشيد يسمو في الآفاق ، وإذا كنت منحت دمائي بعد المطلق ، فلأن البذرة مذ رقت .. مايلهمها هامت في كنف النور الأول هذا العالم

وعلى ابناء القرية لكني الان اريد ان اخبرك بما يجول في رأسي .

الشاب / تكلم با ابتي ... فانا ملتهد لمعرفة مايجري حتى اخرج من حيرتي ..

الشيخ / ان هذا الراس النبوي المقدس هو الذي هداني الى طريق السعادة الابدية ..

ولذلك لا بد لي من انتاذه من هؤلاء القتلة الماجورين ، فلا اريد له ان يمثل بين يدي طاغية الشام

الشاب / وكيف سيكون ذلك ..وانت تعرف بطش امية منذ ان سيطر معاوية بن ابي سفيان على السلطة والى ان جاء ولده يزيد ،، الا تسمع يا ابتي كم سالت من الدماء وكم قامت من الثورات ؟ انك تخاطر بحياتك ان قمت بخطوة انفعالية بدون تدبير مسبق .

الشيخ / لا أدري ماذا سيكون رد فعلي ازاء هذه الجريمة النكراء !! هذا القدر الذي وضعني في هذا الموقف المبارك ؟

الشاب / ان اخذت الرأس واخفيته فهذا مستحيل .. لأنك لاتستطيع ان تزعم بان شخصا ما قد جاء وتسلم من بين كل هؤلاء الجنود والقادة ودخل الكنيسة وسرق الراس !!!

الشيخ / تراودني فكرة ... لا ادري هل استطيع تنفيذها أم لا ؟

الشاب / وما هي ؟

الشيخ / ان انهض الساعة واعمل حتى الصباح على نحت راس مشابه لهذا الرأس ..

المقدس وأضعه على الرمح وأحتفظ بأريج ومسك بن رسول الله .

الشاب / اتقول ابن رسول الله ؟

الشيخ / نعم انه رأس الحسين يا ولدي

انه راس السبط انه ابن فاطمة الزهراء

= بيكي بحرق = أترى أية جريمة ارتكبت بحق الرب عندما يقتل الطفلة أحببنا الله ؟

الشاب / (يذهل وتغورق عينيه بالدموع ويتعاطف كليا مع الشيخ الراهب ...

فيتكلم مع نفسه بصوت مسموع قائلا :-

ابن فاطمة البتول ؟ الحسين السبط

+ (الى الراهب) ... لكنهم ياسيدي سيكتشفون الامر في نهاية المطاف .. وعنها ستعرض نفسك الى الخطر بل ربما ستعرض القرية الى عقاب جماعي

انك تعرف بطش هؤلاء القتلة .



ينضج في شجر ابهى يغمر كل الآفاق نهر دافق .. تأسره آلاف في واد، وظهيرة فيض، ورمال فقدت أسباب مروءتها وانين يهتك ستر مواجعكم ... ودنانير تحجب ضوء الفطنة ، ويبادق من اشباه رجال تحرق فسطاطي لتصعد من هول المشهد .

((يعد ان ينهي الإمام الحسين خطابه الختامي يتصاعد بكاء الراهب فيتقدم الى وجه المسرح وكأنه يخاطب الناس قائلاً:-

الراهب / اشهد انك يا سيدي ، يا حسين سبط رسول الله محمد امام الامة واشهد انكم الحق يا عترة رسول الله .

= في نهاية المشهد وبعد ان يعلن الراهب إسلامه وإيمانه برسالة الإمام الحسين عليه السلام ، يدخل الراهب الشاب حيث يجد الشيخ في لحظات من التجلي ...

والانفعالات الجياشة فيتفاجأ بحالته .. وعندما يرى الشيخ دخول الشاب يهرع اليه قائلاً:- هذا هو يا بني تفسير ذلك اللحم المروع الذي كان يعاقرني قبل عدة ايام .. نعم يا ولديتقدم وانظر إلى هذا الرأس المقدس .

الشاب يبقى مذهولاً وهو يرى الشيخ في حالته ، ثم يلتفت وينظر بخشوع ملحوظ الى الرأس الشريف ... ويظل حائراً لا يدري ماذا يقول ثم يلتفت الى الشيخ:-

الشاب / وكيف تأكدت من ذلك ؟ وما قصة هذا الرأس الذي تصفه بالمقدس ؟

الشيخ / انها قصة طويلة ومذهلة ، ولا بد لي ان اقصها عليك



الراهب الشيخ / وكأنه يخاطب ويناجي رب العالمين (

يا رب السماوات ورب جميع الكائنات... ساعد هذا العبد المسكين التائه الحائر

الذي فقد القدرة اتخاذ القرار الصائب هل أترك سبط رسول الله يطاق بين البلدان مع عترته وهم سبايا مع هؤلاء القتلة؟ هل اتخاذ في لحظة ضعف ، مخافة الموت ثم أعود أولول كالبائسين الجبناء؟ السنا نموت جميعا في نهاية المطاف؟ لماذا لا اقتدي بهذا الرمز المقدس الذي جعل لحياتي ولوجودي معانيا خالدة؟ لا بد لي إن اسجل موقفا في هذه اللحظة الاستثنائية لا بد لي

من موقف يحقق لي رضاء الرب اولا ويبيع في قلبي السعادة التي طالما كنت ابحث عنها...!!!

صوت الامام الحسين /

ايها العبد الصالح - - اعلم إن ليس للأنسان الاما سعى .. وأن سعيه سوف يرى ... فأغتم اللحظة التي انت فيها والموقف الذي انت فيه وتقدم كي تسجل موقفك امام الله وامام ضميرك .. افصح عن هواك وشجونك ورؤاك

وافكارك الى كل الناس حتى يعرف القاصي والداني اية جريمة ارتكبت

بحق رسول الله وخاتم النبيين وحيب اله العالمين ... واي شرخ احدثه الردة في سور الاسلام العظيم

ايها العبد الصالح مسؤوليتك منذ اللحظة تتصاعد هذا قدرك

الذي

وضعت الياري جلت قدرته فيع ابذر بذراتك المباركة وانت تسير في هذا الطريق الرباني المقدس ولتكن مطمئنا تمام الاطمئنان ... بأن الله ينصر عباده الصــالحين .

الراهب / (بقوة وفرح عظيمين)

نعم ، نعم ياسيدي يا سبط رسول الله ... هذا انا ما مقدم عليه

ستكون هذه المسؤولية امانة في عنقي وعنق كل من يهده الله الى الاسلام

الصحيح !! وان قربانكم المقدس هذا سيكون منارا لهداية الناس في كل زمان

ومكان.... إن الصراع الدامي بين رموز الحق واذناب الباطل سيستمر لأجيال

كثيرة وستنزف الدماء الزاكية من اجل الدفاع عن القيم والمبادئ السامية

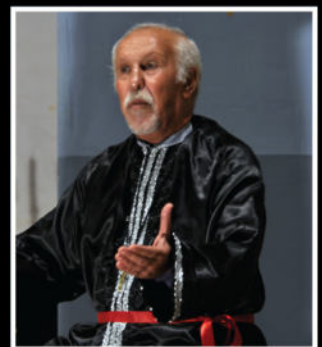
الى إن يأذن الله بظهور المخلص المقدس ... الذي يملؤها عدلا وقسطا بعدما

ملئت ظلما وجورا وعندها سيعلم الذين ظلّموا أي منقلب ينقلبون...!!!

والعاقبة للمتقين

والعاقبة للمتقين

انتهت





اسم عاصي

جدل التاريخ ..

جدل التراجيديا في النص المسرحي الشعري ..

نص (صوت الحسين) أنموذجاً

الآن ، بحيث يستحيل أن يكون المسرح مسرحاً
بغيرها . (١)
ولما كان النص المسرحي بعامة ، والنص المسرحي
الشعري بخاصة وعاء قابل لاستقبال حيثيات الوقائع
بصياغات درامية شعرية . فإنه في هذا يُحقق معرفة
رائدها الجدل بين العناصر المتعددة المختلفة والمتناغمة
مع بعضها . فثمة معرفة ومعرفة مضادة . كذلك هنالك
فكر وفكر مضاد . ويشمل هذا الأخلاق وطبيعة العقل
، حيث تعبر كل هذه العناصر عن جدل الحياة ذاتها
والذي تنتصر فيه المعرفة الإيجابية الكلية الشاملة من
أجل سعادة الإنسان . من هذا يمكن . إدراك قيمة
التطور المعرفي الإبداعي عند كُتاب الدراما . وهذا ما
جسدته فعاليات الكُتاب اليونان في اكتشاف الصراع بين
الإنسان وقوى القدر (٢) ، كذلك أكدت هذه الفعاليات
على أن الشعر الدرامي هو تكتيف ابداعي يتميز بالحرية
الفكرية في صياغة فرجة مسرحية ، تعتمد كل ضروب
المصادر التي من شأنها ترصين الخط الدرامي الذي
يُحققه الشعر في المسرح . ومن أجل هذا أيضاً لابد من
العمل على البحث عن مصادر ممولة فكرياً ودرامياً

حين قرر المعلم الأول (أرسطو) ؛ أن الشعر أكثر
فلسفة من التاريخ ، كان يقصد بالشعر تحديداً فن
الدراما التي ولدت شعراً . ذلك لأن دراما الشعر
تتخاطر مع دراما الفن المسرحي ، بما تمتلكه اللغة
الشعرية من طاقة ترتقي بجوهر الأشياء باتجاه
خطها الدرامي الذي يحاكي الحياة في أشد حالاتها
وظواهرها وصراعاها . من هذا يتوجب علينا ادراك
الطاقة الإبداعية للشعر ، وقدرته على صياغة
حرك درامي كفيل بتحويل الجمود التاريخي
والثبات الأسطوري إلى ديناميكية متفجرة بالحياة
والمشاعر الإنسانية . فالوقائع في التاريخ ، والمعاني
في الأسطورة والشيولوجيا تتكيف لتطويع المعاني
لدلالات معاصرة . وهذه الخاصية تُشير إلى بلاغة
هذه المثابات التي يستثمر حراكها الشعر والشعر
المسرحي خاصة ، لكي يمنح المعاصر امكانية
جديدة من التعبير . هذه الحيوية الشاعرية صاغ
قواعدها الشكلية (أرسطو) وما تزال حاضرة حتى

خاصية الحركات السياسية الفكرية . وهذا الخاصية دمجت رؤيتها مع منطق الإحساس الصوفي الذي يفسف الإستشهاد ، ويمنحه بعداً روحياً خالصاً ويضفي عليه كظاهرة فرادتها وتمييزها في التاريخ معنى وجودياً . بمعنى أن فرادة الرمز دفع بالمبدع إلى أن يتمثل جوانب اشتغل عليها المخيال السردي وبما يجعل المحاولة هذه أو تلك أن تدخل في باب التوظيف والاستعارة ، التي من شأنها تكييف الواقعة للبنى الفكرية المراد التعبير عنها من جهة ، ومحاولة دمج الفعاليات الإنسانية في هدف عام من جهة أخرى . بمعنى النظر إلى الواقعة نظرة أممية في التضحية والسيرورة الإنسانية . وأرى أن سر بقاء واقعة الطف ورموز الاستشهاد فيها، سببه هذه الخاصية الكبيرة التي دفعت معظم المبدعين الى تمثيلها كواحدة من صيرورتهم . فالكاتب المصري (عبد الرحمن الشرقاوي) في مسرحيته (الحسين ثائراً ، الحسين شهيداً) كان قد تمثل الواقعة التاريخية عبر بعدها الأممي ، حيث أضفى عليها خاصية ذاتية ، للتعبير عن وضع عام معاصر ، عاشته وتعيشه الشعوب وسط تسلط جائر ، مما دفع إلى ظهور حركات ثورية أعطت فعلها على المشهد الإنساني ، وبالتالي خلّدت القيم الكبيرة والراقية . وما تمثل الشرقاوي للواقعة ، إلا من أجل التعبير عن هذا المرمى الأممي . بينما نجد الشاعر (محمد علي الخفاجي) في مسرحية (ثانية يجيء الحسين) قد استفاد من حيثيات الواقعة لكي يتماثل موقفه الفكري مع مجمل الحراك السياسي متمثلاً برموز ثورية شهدتها فترة الستينيات ، حتى غدت من رموز الثورة القائمة ضد الجبروت الاستعماري ، مكلل هذا بالاستشهاد . فالخفاجي لم يبتعد عن الشرقاوي إلى حد كبير ، بقدر ما اقترب من فعله الثوري ، مفترقاً عنه في فعله الإبداعي . بمعنى تميّزت كتابته في كونها أكثر إحساساً بالواقعة ، بسبب قربها منها فكراً ومكانياً هذا من جهة ، ومن جهة أخرى كان أكثر قرباً من منطقتها اللغوي . إذ نلاحظ أن لغة الخفاجي أكثر صلة بالمرورث ، وفي شعرته ثراء لغوي لا مجال لدراسته الآن . غير

تؤكد الصراع الأزلي بين الإنسان والقوى المعلنة والخفية . إن صناعة الدراما يعني النظر من خلالها إلى دراما التاريخ بكل وقائعه ، والذي انطوى على صراعات كثيرة شهدتها العصور المنصرمة . من هذا نجد أن العلاقة بين النص والوقائع التاريخية ، هي علاقة جدلية . بمعنى يستجيب كل طرف إلى الطرف الآخر . غير أن ما يميّز النص الإبداعي ، هي شدة علاقته بالتاريخ من جهة ، ومحاولته التوضع خارجه من جهة أخرى . هنا لا بد من التأكيد على أن ما نعيه بالتاريخ هي صفة عامة ، لا يشكل الحدث التاريخي مركزها بقدر ما يشمل هذا التاريخ الاجتماعي والسياسي والسياسيولوجي القريب والبعيد ، يُضاف إلى ذلك تاريخ الشخصيات مهما كانت خاصيتها ومكانتها الاجتماعية . المهم أن النص يُجري علاقة مع تاريخ مطلق بلا حدود مرسومة ، وبما يُحقق حرية ذاتية في التعبير والكتابة .

أما بخصوص التاريخ الذي دونته الأحداث في عمق الزمان والمكان ، وأصبح بمثابة مدونة يُستعان بها اشتغالا ، فإنها تُعد وثيقة يمكن استدلال النص بها لبناء معماره الإبداعي ، سواء كان هذا التاريخ قريباً أو بعيداً . وإلى حد ما يكون تعامل المبدع مع متن التاريخ يتميز بالحرية والعمل على كل تفاصيله بحرية الاختيار . فالنص هذا يمثل رؤية المبدع إلى مثل هذه المنعطفات في التاريخ وإحساسه بوقوع أحداثه ، وبالتالي قدرة هذه الأحداث على أن تترك أثرها البنيوي على ذاكرة المبدع . من هذا نرى أن ما تناوله النص لواقعة الطف التي استشهد فيها الإمامين (الحسين والعباس (عليه السلام)) وجمع من أصحابه وأهل بيته ؛ كانت دوافعه تكمن في طبيعة الواقعة في التاريخ الإنساني . هذه الواقعة في التاريخ لفتت انتباه المبدعين على اختلاف انتماءاتهم الفكرية والطبقية والدينية ، بما جعلها بمثابة ملحمة لها دلالاتها التاريخية في مجالى السياسة والإجتماع والفكر المتوجة بالتضحية والفداء . وفي هذا اختلفت الرؤية للواقعة التاريخية ، بحيث اتخذ الكُتاب من رموزها أيقونات ثورية مالت إلى المنحى الفكري الذي أضفى على التاريخ

أنا يمكننا القول أن شعر (محمد علي الخفاجي) ذي محمول درامي ، وهذا ما أضفى درامى على نصه المسرحي هذا وبقية نصوصه التي تناولت شخصيات لها دور في التاريخ الإسلامي مثل (أبا ذر الغفاري) .

واشغل الشاعر (عبد الرزاق عبد الواحد) على البُعد النفسي لشخصية (الحر الرياحي) محاولاً استبطان الشخصية من خلال شعرية فائقة الأصالة والتمثل ، حيث أبقى الأنموذج ضمن دائرة الثورية كما فعل أقرانه . في حين نجد الكاتب (مهدي السماوي) في مسرحيته (المظاهرة) قد وظف شخصية (مسلم بن عقيل) من أجل طرح أفكار في الثورة والتحدي ، كذلك عكس الخيانة التي تقع فيها الحركات الثورية . عموماً حاول السماوي طرح فكرة الفداء والوفادة لشخصية (مسلم) التي التزمت مبدئياً بميثاق العهد مع الإمام الحسين (عليه السلام) وبهذا كان النص يعالج الحراك السياسي الاجتماعي من خلال مجتمع الكوفة .

من الملاحظ في مجمل هذا الحراك في النتاج الأدبي ، دافعه التعبير عن حيثيات الأحداث المعاصرة من خلال غنى التاريخ ، بمعنى توظيف الواقعة ، وبما يجد لها تناصت في التاريخ الحديث والقديم . إذ نجد في التاريخ الغائر في القدم ، حضور لشخصيات كثيرة استطاعت أن تمنح التاريخ ومدونته أفكاراً وأفعالاً أغنت مفاصله . وعلى سبيل المثال شخصية (أنكيديو) في ملحمة جلجامش وتمثالها مع شخصيتي (الحسين والعباس) عليه (السلام) في ما يخص الموقف الفكري الذي واجهوا من خلاله موقف السلطة دفاعاً عن المستعبدين والمستغلين من جيروت السلطة الحاكمة . فقول أنكيديو ﴿ لأصرخ وسط أوروك أنا الأقوى / وأنا الذي أغير المصائر ﴾ (٣) تجد ما يماثلها في قول الإمام الحسين (عليه السلام) في رفضه المبايع ليزيد ، بل رفضه لولايته على المسلمين . وما توجهه إلى الكوفة سوى لاسترداد ولاية أبيه العادلة من خلال إعادة خلافة المسلمين على مركز دولة الإسلام - الكوفة . . هذان الموقفان يمنحان النص الأدبي بُعداً فكرياً يتمثل البُعد السياسي في إقامة دولة

الحق . فمراجعة البُعد الفكري الذي تأسست على غراره دولة المسلمين ، لكي تكون عنواناً متميزاً في التاريخ ، بسبب ارتباطها بالمنطق المبدئي .. بمعنى أن الأفكار التي اكتسبت غناها المتجدد في حضرة الفكر النبوي ، لم تكن أفكاراً نظرية ، بل هي فلسفة واسعة ذات بُعدين متكاملين : البُعد النظري والبُعد التطبيقي .. (٤) . وهذا ما يخص الإمام علي (عليه السلام) في تأسيسه لدولة النبي محمد (صلى الله عليه واله) في الكوفة . من هذا نجد أن تناصّ موقف الإمام الحسين (عليه السلام) في واقعة الطف ، متمثلاً للموقف المبدئي الذي شيدت عليه نصوص الكتاب الذين ذكرناهم آنفاً . ولعل الشاعر (رضا الخفاجي) أحد الذين أوقفوا شعرهم من أجل توظيف الرموز الثورية التي خاضت غمار المعارك الشريفة ، وهي تواجه سلطة المرتدّين والمحرّفين لمسار دولة النبوة . وكان جهده منصباً على تأليف عدد من المسرحيات ، ابتدأها في مسرحية (صوت الحر الرياحي ، الملحمة الحسينية الخالدة ، صوت الحسين) . هذه النصوص المسرحية صيغت شعراً منتمياً إلى جنس المسرح الشعري ، وبما أهله لتقديم إضافة نوعية لما قدمه أقرانه من أعمال ، وبرؤية ذاتية جديدة ، اعتمدت على خط درامي معني بالتفاصيل من واقعة الطف ، ومؤكداً أيضاً على تجربة التمرثي بالواقعة عبر رموزها مثل (الإمام الحسين والإمام العباس والحر ومسلم بن عقيل) وبما يُشكّل سلسلة مسرحية ولّدتها تفاصيل الواقعة . لاشك أن رؤية الكاتب في هذا المضمير قد وزعها . كما ذكرنا . على الرموز التاريخية ، محاولاً بطبيعة الحال ، أن يقول في هذا النص ما لم يقله في النص الآخر ، ثم تكرر هذا دون استساخ لما هو قبله . بل أن كل ما يعتمد عليه وينتجه الكاتب في توزيع نظريته للتاريخ ، مستلهماً عبره ، دون التخلي عن الخط التراجيدي الذي يؤدّد دراما صاعدة ، فالخفاجي رضا ، أعطى لكل نص مركزه من خلال التركيز على شخصية معينة ، مكملاً حيثياتها عبر العلاقة الوجودية مع الشخصيات الأخرى . أي أنه حقق موازنة واضحة في تناوله للشخصية المركزية وأفلاكها

المفهوم وإن غلب عليه منطلق التراجمي من خلال عكس مأساة ما وقع على أرض كربلاء ، سواء في هذا النص أو سواه مما كتبه المؤلف وهو يستقريء واقعة الطف . والعنوان تنصده في أعلى الغلاف عبارة ﴿ بهجة الدماء ... في سفر كربلاء ﴾ وبهذا نجد أن هذه العبارة تُشير إلى العطاء الطوعي الذي تؤكد المباديء ، وبالتالي الوعي الذاتي عند كل استشهد في الواقعة . فالبهجة ؛ إنما تُشير إلى الزهو والعطاء من خلال التضحية بالوجود المتمثل بالدماء . أما السفر فهو السيرة التي حفلت بها المدينة ، من (كربائيلو) (٥) إلى كربلاء . هذا السفر ارتبط بالفاء على كل المستويات الزمانية . فالنص تم له الدخول من خلال هذه العتبة نحو التاريخ وما يضمه من معانٍ ثرة . أما عتبة لوحة الغلاف ، فهي أيضاً مستتقة من الواقعة . لكن من الملاحظ على التنفيذ ، وحصراً في ما يتقاطر من عبارة (صوت الحسين) كان يتوجب أن يكون بلون مضيء دال على النور ، مرشحاً من الأحمر القاني وهو لون الدم . فالصوت منار ومثار فكري يُرشح ضوءاً بالرغم من لون العبارة الدالة على الاستشهاد . غير أن المتعلق الفكري المقترن بالتساقط عمودياً له علاقة بتساقط المطر من السماء مخصباً رحم الأرض . كذلك تقاطر الدم من الصوت كفعل وإشارة ، دال على التضحية ، مما يتوجب الترميز له بإشارة مضيئة تكشف حقيقة فكر الحسين الإخصابي . تماماً كما هي تضحية الإله (دموزي) وانبعائه في موسم الربيع في الحضارة السومرية وامتداد الرمز عبر كل العصور والحقب محافظاً على دلالته الرمزية ، فالإمام الحسين (عليه السلام) يُجدد الحياة في شهر عاشوراء ، وعودته من خلال الطقوس ، هي إشارة مكيئة تنبه إلى فعل تجديد الحياة ، والحث على الاقتداء بالرمز الإسلامي- المبدئي لكل الأجيال وفي كل الأزمنة .

أما الإهداء فإنه اشتغل أيضاً على ثيمة القيمة التي جسدها الإمام في التاريخ ، وبالتالي ما خلقه من قيمة أخرى مجسدة في فعل الأب الذي أعطاه المؤلف بعبارة (خادم المنبر الحسيني) وبهذا أضفى قدسية لفعل

من الشخصيات المكلمة وهذا ما تحقق في نص (صوت الحر الرياحي) نصاً واعداداً على خشبة المسرح . إن التأكيد من خلال عناوين النصوص على صوت - يعني أن ما يعمل عليه المؤلف هو إبراز البنية الفكرية للفعل الدرامي المجسد لموقف الرموز في حراك الواقعة ، وإن لم يُعلن عنه صراحة . إذ ترشحه الكيفية التي تنتظم عليها الوقائع والمواقف . فالفعل الدرامي الذي يعكس عبر الشخصية ، هو دليل على المحتوى الفكري الذي يعمل على تغيير وجه الحياة السياسية والاجتماعية . فالصوت هو نداء الداخل ، والداخل محتوى فكري . فما زال قول الإمام الحسين (عليه السلام) كلمة (لا أمام الجبروت الأموي ، فهذا يعني ثمة موقف فكري يعمل لقيادة الفعل ، من أجل صياغة الحياة الجديدة . وهذا بطبيعة الحال يقود إلى النمط الثوري للواقعة ، وكما تجسد في سلسلة ما كتبه الشاعر (رضا الخفاجي) من مسرحيات شعرية .

لا شك أن النص كان يساير الواقعة ، لا من أجل تسجيلها أو نقلها من مدونة التاريخ ، بقدر ما يطرحها كموقف فكري أخلاقي . وبهذا توفر النص على جملة صراعات ، بعضها معلن بين أقطاب الصراع ، والآخر ذاتياً يخص المراجعة ، كما سنلاحظ .

في نص (صوت الحسين) يتأكد لنا ما أشرناه في العنوان ؛ من أن الصوت - الذي يلزم أيقونة النص - العنوان - تُشير إلى البنية الفكرية ، ملازمة للفعل الثوري الذي أتى به حراك منطلق الثورة على الواقع . وهذا يعني بطبيعة الحال ، سواء من خلال قراءة متن المستوى الشفاهي للواقعة ، أو عبر ما حاول المؤلف أن يؤكد ؛ من أن محاولة الإمام الحسين (عليه السلام) الدخول إلى الكوفة عبر أرض كربلاء ، هي محاولة لإبطال سلطة الأمويين المتمثلة في شخص يزيد . ولعل ما وراء النص الكثير مما يُقال بصدد هذا المفهوم للواقعة التاريخية التي غدت قدوة لكل من ثار على جبروت التسلط والاستغلال ، وفرض السلطة دون حق وإفساد الحياة . من هذا نرى النص يحاول التوصل إلى عكس هذا

بالبطولة ، كان رأس الطفل علامة اتخذوها ، وهي دالة على قسوة نفوسهم . وهنا يُرشد رد (ابن سعد) على الشمر بالتهكم والاحتجاج الذي لا يوقف فعل كهذا بقدر ما يتركه منقذاً :

﴿ الشمر / هو يقصد أن نأتي ، برأس الطفل ...

ونعلقه فوق الرمح !!

أين سعد باستنكار : هل تعني ذلك حقاً يا شمر ؟

لم تفعلها العربُ من قبل ! هل يُعقل

هذا يا شمر !!

حتى الأطفال ... حتى الأطفال !!

الشمر / ولماذا لا ؟ .. كي نخرج من هذا المأزق ..

نفعل ما لا يُعقل !!! ﴿ وهذا الحوار إنما جسد الحالة القلقة التي عليها (أبن سعد) ، وهو يواجه مختلف المواقف كقائد عسكري ، غير أنه لا يواجه سوى بالموقف السلبي ، لأنه أساساً مسلوب الإرادة . وقد تجسد القلق عنده في منلوجه الداخلي وهو يراجع ذاته :

﴿ عجباً يا دنيا

كلُّ منا ، يعرف اين يكون الحق ؟!

لكن لا يؤمن به !

ألى هذي الحال وصلنا ؟!

لكن ، لا بأس ، السلطة والمال عند يزيد !

وهما أسباب سعادتنا . ﴿

هذه المراجعات ، ومجموع الأفعال الشاذة التي أتت بها الشمر ومن يرافقه في جمع الرؤوس ، ما هي إلى دليل على لعبة المطامع والإنقياد إلى الجريمة بدافع الخضوع لجانب التسلط والمال والجاه الزائل ، بينما تتجسد المبادئ بالمواقف عند الإمامين وأصحابهما في المعركة . ولعل ما يضره العقل الجمعي ، سواء توفر عليه العامة المقموعة ، أو اكتشافات الراهب ، دليل على الكتمان وخوف البوح عن الموقف . بدليل الحوار الذي دار بين الأشخاص ، حيث جسد مثل هذه الصورة التي عليها العامة :

﴿ شخص رقم ١ / من هذا الجيش ؟ .. ولمن تُحمل هذي

النخبة ؟ ..

الخدمة ، ليس من باب سوى باب الاقتداء . والنص يواكب الواقعة ، محافظاً على تسلسلها التاريخي ، ميالاً كمؤلف إلى استبطان الشخصية وحث داخلها للبوخ سلباً أو إيجاباً على وفق موقف الاصطفاة للشخصية ، سواء كان هذا الاصطفاة مع الحسين أو مع من ناهضه . المهم أن تكشف الحوارات عن المواقف المبدئية للنماذج . فحين يذكر (عمر ابن سعد) :

﴿ ما السيء في ذلك ؟ .. يعتز القادة بالأفعال

الكبرى .. !!

العادة مألوفة .. أن تحمل رأساً فوق الرمح !!

هذي عادتنا يا هذا ! ﴿

هذا القول يرشد بنية فكرية خالصة ، تجسيدا لثقافة العنف والقسوة التي تتمثل في أفعال آل أمية ، عبر نماذجها العسكرية ، فالحرب عندهم لا تحمل أخلاقاً كسيافات تؤدي وظيفة أخلاقية على الرغم من لا إنسانيتها . غير أن ما ذكره (ابن سعد) دليل على بنية التدمير لكل ما هو خير ، سيما أن الحوار دار للبحث عن رأس يُحمل على الرمح ، فقد نفدت الرؤوس ، وكان رأس الطفل الرضيع هو آخرها . مجسداً هذا في عبارة : ﴿ زعماء الكوفة تتسابق ، من أجل المجد ! ﴿ . هذا ما قاله (الشمر) في حين كان رد (ابن سعد) أكثر بلاغة في لا إنسانية الشمر : ﴿ بل قل : من أجل المال ! ﴿ وبهذا تفترق المواقف ، فبين موقف يستند على مبادئ إنسانية من أجل تغيير البنية الأساسية في ما يخص السياسة والدولة في موقف الإمام ، وبين الموقف المغاير الذي يحاول الإبقاء على المنظومة المسلطة حياً في المال والارتزاق المذل .

والنص كما ذكرنا يواكب الأفعال ما بعد انتهاء واقعة الطف ، والبدء في الرحلة إلى الشام للوقوف بين يدي (يزيد) . وهذا ما أكده (ابن سعد) وهو يُشير إلى انتهاء المعركة ، والبدء للتحضير إلى الرحلة :

﴿ الحربُ انتهت الآن... كلُّ يسعى لمصالحها . ﴿

في حين نلاحظ الموقف الذي يكشف عن بقايا نزوع إنساني يضره ابن سعد وهو يواجه الشمر في عثوره على رأس الرضيع (عبد الله) . فبدلاً من حمل رأس مقاتل فخرا

هو رأس نبي يتلو

يتهدج في قلب الليل!

عبسى الفادي ، يرجع ثانية للناس ؟

لا يمكن أن يحدث هذا الآن !!

أدماء في

كل مان ؟ أمسيح في كل قضية ؟

«لقد سعى النص عبر محوره الدرامي أن يُبلور موقفاً موحداً» يستجلي الرسالة التي أتى بها الإمام من أجل التغيير ، والذي توضح أكثر في حوار الرأس مع الراهب ، وهو مركز النص وصيرورته ، حيث نجد أن الصوت يتبلور أكثر في النص ليمنح متلقيه المعنى الكبير والإنساني الذي أتت به ثورة الإمام الحسين (عليه السلام) مجسداً في خاتمة النص : « سأتيكم في كل زمان ..

حتى لو لم يتوفر من يحمل رأسي فوق الرمح !!

هذا قدر حُطَّ بآيات اللوح المحفوظ؟ !!

الدرب طويل ، والسعي له ما يُسعفه !!

jassimasee@yahoo.com

الهوامش/

- ١ . مجدي فرح / تأملات نقدية في المسرح / منشورات أمانة عمان ٢٠٠٠ ص ٢٤
- ٢ . نفس المصدر . ص ٣٥
- ٣ . د . سامي سعيد الأحمد / جلجامش / دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد ١٩٩٠ ص ١٢٠
- ٤ . عزيز السيد جاسم / علي بن أبي طالب .. سلطة الحق / مؤسسة الزمان بدون تاريخ ص ٣٩
- ٥ . قصيدة للشاعر بهذا الأسم تحولت إلى نص طويل يتناول الاسشهاد والتضحية ، عبر تناول مشبع بروحية الأساطير والرموز البابلية والواقعية المستلة من تأريخ كربلاء القديم والحديث كشخصية (إبراهيم الزعفران) وبعض الرموز المكانية الدالة في المدينة . وهي بمثابة ذاكرة شاهدة على تاريخ ميثولوجي خالص.

أرؤوس في كل صباح ؟

شخص رقم ٢ / هذا جيش الشام أتى من بادية الكوفة!

يبدو أنهم ، خاضوا حرباً ؟ .

أو قل : قمعوا ثورة ﴿

ويتواصل الحوار بين الشخصيتين ، ليكشف عن المواقف المتباينة أولاً ، وعدم وجود الموقف المغاير ثانياً . ونقصد هنا أن صوت الاحتجاج بقي مضمرًا خوفًا من بطش السلطان على الرعية . والحوارات تلك اتخذت لها وظيفة تعليمية مبشرة بالمسعى الذي أقدم عليه الإمام الحسين (عليه السلام) وأصحابه وأهل بيته حد الاستشهاد . كذلك موقف وممارسات الحاكم الأموي وجبروته وخروجه عن تعاليم الدين . لذا كان أحد الشخوص يضع مبرراً جديلاً لقيام ثورة الحسين للتغيير . كما ونلاحظ أن المقاطع التي عناها المؤلف ، والتي تدور بين الراهب في الدير ورأس الحسين ، حيث رشحت بنى متطابقة مع شكوك الراهب ومبادئه المسيحية الإنسانية . وهي أنموذج للجدل الكاشف عن المواقف المبدئية . حيث حاول المؤلف أن يبتعد عن مسعى الراهب في تجسيد رأس الحسين في لوحة أو تمثال . بل انزاح به إلى صور أخرى كاشفة عن التتابع في المباديء ، والمعلنة عن الاصطلاف في الموقف . لعل ما ذكره الرأس من صور وتأملات ، وما انعكس تأثيره على الراهب ، أهم ما جاء في هذا الحيز من النص : ﴿ صوت رأس الحسين / سبّحت بحمدك ، مذ كانت لغة الحمد ! وجبّلت على أنسام شذاك ! ولهي .. حفزه نور بفؤادي ! كان يسد على ذاكرتي أن تحيا فيه أن تنهل منه قبس من نورك ، كان وما زال ويبقى ... أمل إنني قد نفذت مشيئة ربي ضمخت دمي بصدى أملي من أجل الناس من أجل العدل !! .. من أجل الإصلاح لأمة جدي !! الراهب / يا الله ماذا أسمع ؟



عباس خلف علي



كيف تُقرأ نظرية المسرح الحسيني

(١)

الخطاب الفكري :

الإيطالي الصهيوني المتطرف (بيير بايل) وبالمناسبة مركز الدراسات الفلسطينية نشرت مقال كتبه عنه ابنة موشي ديان الروائية المعروفة في مناهضتها للعنصرية - نائيل ديان - تقول ، أن بيير لم تسره حياة من غير ضجة وضجيجه مثير للسخرية أكثر من أعماله الاستكشافية الفاشلة في صحراء النقب كواحد من الذين قدموا إلى إسرائيل من أجل العثور على مخطوطات تثبت إنها أرض الميعاد ، فكانت المسرحية جزء من هذه الضربات التي تحاول النيل من الشخصية المحمدية وإضفاء لون من الصفات البهلوانية التي تتطلع إلى السلطة واستغلال سذاجة الجماهير لكي يستعبدها . بدل من أن نسمع شيء عن هذه الحكاية أو أن يتناولها أحد مفكرينا أو باحثينا التي ضجت مكتباتنا العربية والإسلامية بدراساتهم على طول الزمن ، إنبر (أنتر غراس) الروائي الألماني ليقول بأعتذار خجول : نحن ككتاب لسنا معصومين

نشرت الباحثة الأمريكية (ربيكا جوبين) بحثا مطولا في مجلة الدراسات الشرق أوسطية بعنوان الإسلام والعرب في نظر - الإنسوكويدي - والإنسوكويدي ، موسوعة فرنسية تتألف من سبعة عشر مجلدا بأشراف (ديرووجان) وبمساهمة فلاسفة بارزين أمثال فولتير ومومنتسيكو وجان جاك روسو ، وهي تعد من أعظم إنجازات عصر التنوير ، المهم ، تقول هذه الباحثة إن هؤلاء الفلاسفة بدل من أن ينتقدوا انحراف أتباع المسيح والكنيسة والإنجيل والتوراة وجهوا انتقادهم إلى النبي محمد (ص) والإسلام والقرآن الكريم ثم أشارت إلى مسرحية فولتير - محمد نبي التعصب - المستوحاة بالأصل من مقالات كان قد كتبها

طبعاً من غير تعميم ، إذ إننا نؤكد على الأغلب إن من كتب في التاريخ أو التراث يدخل في متاهة السؤال الديني الذي يخلقه الذات لتضاعف من إشكالية المعتد في استهلاك الموروث كجزء من معطي قائم على مناطق محددة منه لا ممارسة كاملة تلتقط المعنى وتستقصي المفهوم ، كما لمسنا ذلك في محاولات محمد عمارة التي تقتضى اثر الأشاعرة والجبرية والقدرية والمعتزلة ومحمد أركون في وقوفه الدائم عند حواف القرآن الكريم وعلي حرب في اختراقاته الأنزياحية من دون الإشارة عن أفعال التعويض وكأن المعرفة لا تنشأ إلا لذاتها ، وغيرها من المحاولات ، صحيح ، أن بعض المواضيع التي تناولتها كتبهم لم تكن بعيدة عن إرساء قواعد جديدة في فهم التراث ولكن لم تتحرر من عقده كما هو حاضراً عند نصر حامد ابوزيد في كتابه - إشكالية القراءة آليات التأويل - التي تتطرق من النص بوصفه أثراً حضورياً يفتح على المجهول واللا متوقع ويدعونا ليس إلى قراءة الماضي والسابق لذاتهما وإنما البحث عن اوجه الحقيقة مستفيداً من كل التراث الفكري .

ومن هذا المنطلق نجد أن القراءة لا بد أن تغادر سكونيتها ومحدوديتها ورتابتها التي أحاطت بالنص العربي والإسلامي والدخول في عوالم الممكنات والمحتملات ، بحيث تتحول فيه القراءة إلى رؤية تحفز التصورات وتفعّلها على إنتاج المعاني المتعددة .

ولهذا نعتقد إن مقولة محمد عابد الجابري القائمة على قتل التاريخ فهما هي مقولة صريحة للخروج من مأزق التناسخ التاريخي الذي ظل نقطة تحدي ولازمة مستمرة تتبوأ مشاريع الفكر على مختلف نواحيها الإنسانية / الفكرية / البحثية .

(٢)

الخطاب المسرحي :

من البديهيات التي تذكر دائماً في سياق الحديث عن المعارف وعلاقتها بالفنون المجاورة يجري التأكيد عن المسرح باعتبارها جامع الأجناس على مختلف مكوناتها الأدبية والإبداعية ، إذ لا يمكن عزل الخطاب الفكري

عن الخطأ فالأدب العالمي والفلسفة ليست نتاج قدسين ، كذلك فعل الروائي الفرنسي (فرانسوا ندربيه) عندما قال ، لماذا لانجمل مما نفعل وننسى إن الفكر العربي والإسلامي نظم سذاجتنا وهشاشة عقولنا وفتح أمامنا حقول من التجارب الفكرية والعلمية والأدبية التي جعلتنا على الأقل أن نحتمي سنويا بإبن الرشد .

لا أستطيع أن أقول ثمة أخفاق في هذه المسألة أو تلك ، لأننا لسنا في معرض تقييم أصحاب المشاريع الفكرية بل نقول ، إن أغلب ما ينتج في الغرب هو نتاج الفهم الخاطئ الذي يفترض معالجته على وفق آلية مبنية على استيعاب الآخر وتفكيك مقولاته وصولاً إلى صيغة الخطاب العربي / الإسلامي المنظم الذي للأسف يتحمل جزء من هذه الاختراقات التي تستغل انشغالاته بالسؤال عن ماهية التاريخ والتراث وكأننا أمة لا يمكن لها أن تعيش إلا على تاريخ واحد وزمن واحد وقضية واحدة ومن اجل ذلك نستسخ مقولاتنا إلى يوم بيعثون ، حان الآن لأن نبصر في سياقات المعرفة بكل فنونها وعلومها وآدابها وأن لا نبقي على حد قول جعفر صادق العظم إرتكازيين على تصورات الغير عنا ، نتنظر أن يرد التهم ويرفع الحيف ويكشف عن قصد أو غيره خزائن المعرفة المطمورة في ترسبات قاع التاريخ ، بل يفترض أن لا نجتري التاريخ من أجل التاريخ نفسه ولا نتقاطع مع التراث قبل أن يعيش في داخلنا تصور تام عنه وأن تكون التداخلات قابلة للتفاوض المنطقي بين القديم والجديد والتراث والمعاصرة والحاضر والماضي والأهم من كل ذلك كما يقول العلامة محمد حسين فضل الله يجب أن لا نستخدم التراث من أجل تشويه المستقبل .

والحقيقة التي لا بد من ذكرها في هذا المقام ، أن الفكر العربي ظل منذ عصر محمد عبده ورافع رفاة الطهطاوي وعلي عبدالرزاق وطه حسين ومحمد عابد الجابري وحتى عصر فرج فودة وعلي حرب ونصر حامد أبوزيد والشيخ هاني فحص وهاني أدريس وجعفر صادق العظم وحسن حنفي وغيرهم الكثير ، وبما أن أغلب ماكتبوه هؤلاء المفكرين يمثل طروحات مراحل النهضة العربية منذ زمن الخديوي وحتى عصر الجمهوريات الصيبانية ، نلاحظ وبكل أسف ،

الوزير أسفنديار أخ أبو نصر البويهى الملقب الملك الرحيم ، لم يصمد أمام مشهد خصص لمثل العدالة ، وكذلك جوهر الصقلي قائد المعز الفاطمي ، عندما أفرط مشهد النساء في توجيه اللوم لمن يعتبرهن في العرف والناموس (إماء) وهكذا يتصرف المسرح في تصويره عن الوحدة الجوهرية ولم تختزل في القضية المركزية للحسين (عليه السلام) بل يمتد إلى العلاقات الإنسانية بكل مساربها واتجاهاتها المهددة أصلا بتجريدها من هويتها وذاتها / أي كينونتها وكيانها .

ومن هذا السياق كانت لنا قناعة تامة بأن ملامح التجربة المعرفية لمكون التلاحق الفكري والإبداعي لم ينفصل في محتواها عن - نظرية المسرح الحسيني - للشاعر رضا الخفاجي ، التي أتاحت له الخبرة المتراكمة في المسرح الشعري الذي استمر لثلاثة عقود أن يفترض ويخطط نموذج / مشروع ، يكفل أو يحمل الصراع / ملحمة الطف برمزيتها المتاحة كتقضية / إنسانية يمكن أن تمسرح في كل عصر وزمان .

بعد أن ملمت الحكاية الشعبية أو السيرة الذاتية لها مجمل الشعائر الحسينية وأخذت تشكل لها بعدا في الوجدان الاجتماعي يمارس طقوسه سنويا وبالتحديد أيام عاشورا ، وكانت الشخصيات الأساسية في المسرح الشعبي / الجماهيري تعبر عن تلك القضية بواسطة ما يسمى (التشابيه) كمنوان يختزل الحقيقة بالواقعة التي حصلت عام ٦١ هـ / ٦٨٠م ويمنح المتفرج رؤية ما جرى في تلك الحادثة بتسلسلها الدرامي المؤثر ، صار لهذا الواقع نبض مختلف في السياق الثقافي .

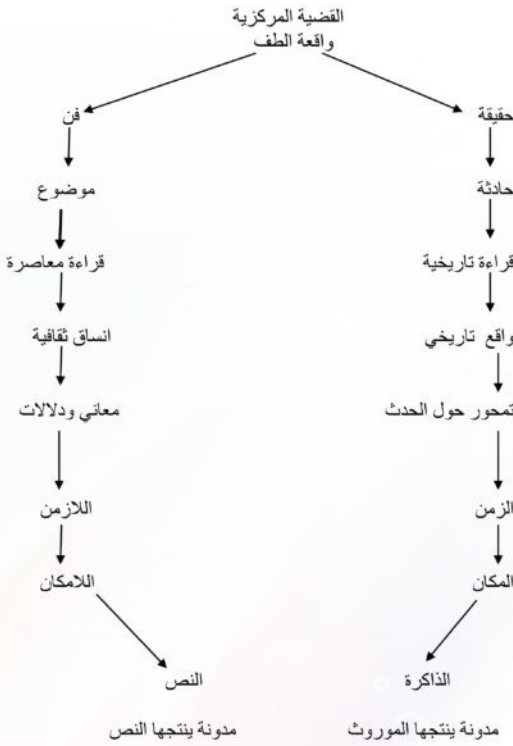
إن تاريخ الشعوب الذي ذكره - مريسيا إلياد - دون وقائع كثيرة تمارس فيها الشعوب طقوسها المعبرة عن رفضها وألمها واضطهادها أو احتجاجها ، التي استمدت خيوطها الرئيسية من مأساة تعرض لها أبطال نضالها الحقيقيين لكنها لم تشكل جغرافيتها نسبة تشفع بالخروج من محليتها التي عرقت ولادتهم فيها ومع ذلك لم تشكل خواص عوامها مثلما فعلت جغرافية قضية الحسين (عليه السلام) في

عن الخطاب المسرحي بوصف أن الاثنين يعملان على إنتاج المعرفة بحقيقتها الأدبي والإبداعي ، وتراجع أي منهما يؤثر سلبا في مشروع الآخر ، ولذا نرى في مقولة الكاتب عبد الوهاب المسيري احتواء لهذا المعنى عندما ذكر ، بأن فلاسفة الغرب أنشئوا مع بقية الفنون والآداب نشاطا جماليا مبني على الاختلاف والإتلاف ولذا كان يشكل رافد لرؤى متعددة المعاني إلى درجة سمحت هذه الممارسة لئن تتجسد في أعمال خالدة .

بينما في عالمنا العربي / الإسلامي كانت الفنون أكثر تراكما في الخبرة والتجربة وتجاوزت كثيرا النظرة المتأخرة في طرح قضايا وهموم الجماهير ، وتحمل القص والشعر والمسرح والتشكيل والسينما ردة الفعل إزاء عصور من التسخن والانحلال والدكتاتوريات البغيضة ، لتضيف هذه الأجناس الإبداعية ما أستقصى عن التعبير ... والتجربة التاريخية لهذا الإكراه حتمت بل ضاعفت من وتيرة هذه الفنون على أن تمارس دورها بطرق وأساليب متعددة منها : الاستعارة والكناية والتماهي والتواري والمجاز والرمز وترفض في الوقت نفسه أية سلطة خارج حدود النص .

ومن ذلك بدأت تأسس قوانين اشتغالها ، وكان المسرح أكثر الفنون كما ذكرنا منتجا لهذه المضامين التي استهدفت مكامن التثوير الفني في طريق الجماهير عبر خشبة المسرح هذه الخشبة جسدت في عمقها العربي / الإسلامي شواهد كثيرة إزاء القضايا المطروحة بإشكالية مقبلة وخصوصا فيما يتعلق بالتصحيف والتشويه الذي تعرض له التاريخ ، كما أنه لم يهمل جل القضايا ككل أخلاقي بوصف أن هذا الكل يعد (وحدة جوهرية) وعلى هذا الأساس تركزت قضية الحسين (عليه السلام) كوحدة جوهرية لهذا الكل فعملت عليه بكل إخلاص وتقاني ليست كعادة خام الغاية منها التأثير على المشاعر بيكائيات ومرثيات تمخضت عنها الحادثة / القضية كمصاب جلل ، بل تؤكد أغلب المصادر التاريخية ومنذ النشأة الأولى لمسرح الرسالة / الحسيني ، أي في عصري البويهيين والفاطميين ، قيلت على هذه الخشبة ماتريد قوله بجرأة وحيادية ، مثلا أن

كما نرى ذلك في هذا المخطط .



تجلياتها الإنسانية الكبرى .

وهنا يتدخل الفن والأدب في تصوراتهما عن الظاهرة وكيفية التعامل معها كوظيفة أو ماهية ، وقد لخص الكاتب المسرحي عبدالرحمن الشرفاوي هذا المعنى قائلاً ، للأسف الشديد بعض المفكرين في بلداننا يعتقدون بأن ما نفعله إزاء قضية الحسين (عليه السلام) هو تحويل التاريخ إلى دين ، بل نقول بالأحرى إلى مسائله لمواجهة حتمية ومفتوحة الدلالات ، فهو يرى كل الأساليب والمفاهيم الفنية كالملحمة والتغريب والرسالة والسيرة والمقامة والحكاية ، وفي الوقت نفسه تبحث عن المسكوت عنه في السياقات الثقافية المتشابكة التي أفرزها العصر بخيبة نقيضة للمثل والقيم العليا .

وبهذا المفهوم جددت - نظرية المسرح الحسيني - مسعاها إزاء القضية وفتحت منافذ الحوار في السؤال الجوهرى عن الدور الذي يمكن أن يحدثه المسرح كوظيفة وأداة وآلية فاعلة .

(٣)

مورد التمثيل في سياق النص :

يتضح من ذلك أن المؤلف اعتمد المقاربات الحسية في تشكيل بنية التنظير للمسرح الحسيني ، مستفيداً من الحقائق التاريخية وبعدها النفسي والاجتماعي في إذكاء روح الصراع الدرامي / الرمزي ، فيظل الشكل إلى حد ما متمسك بالتاريخ ومعناه يندرج في سياق النص إلى أفق قابل للتوقع والاحتمال . صحيح أن المسرح الإغريقي والمسرح الملحمي وحتى الشكسبيرى ، كان يتمتع بانتهاج مثل هذه الأساليب والمفاهيم إزاء موضوعات تاريخية أو أسطورية مكرسة أصلاً في الخطاب لمعالجة كينونتها وصيرورتها ولكن بالوقت نفسه نجد قضايا أخرى يتفاعل معها النص ليس على أساس بعدها التاريخي المحض تحصل منها على حقيقة مختلفة تماماً وهي بالذات ما أطلق عليها (يوجين) لغة المسرح متماهية الحدث ، وبهذه اللغة يمكن أن نكتشف أن قضية الصراع / النقيض هي لغة مفتوحة على مهارات تسعى على تكوين خطابها مهما تعددت أو تنوعت الأساليب وخصوصاً في استدرج التاريخ إلى لغة المسرح .

• نظرية المسرح الحسيني / للمؤلف رضا الخفاجي / منشورات العتبة العباسية المقدسة / ٢٠٠٩ .

إن الدور الذي تمثله النظرية أو المقاربة كما سيتضح لاحقاً وحسب المخطط الناتج عن واقع الطرح المندرج في سياق التشكلات الفنية ، أن المسرح أداة استجابة لمنطق قلق الإنسان وأزمات عصره وفعاليتها تأتي بالبحث الدائم في هذا الافتراض ، والذي يكون فيه التجريب شكل قائم على التماثل بين الحدث كقيمة حاضرة في النص وكيفية التعامل معه كقيمة فنية مؤسسة للقيم الفكرية . وهذا باعتقادنا ما يؤهل العمل الفني / الأدبي تجاوز ما يستقر في النظرية كشكل نهائي ، وتصبح الرؤى هي المنطق الجديد للمعرفة ، وهي المحور الرئيسي للدلالة التي تولدها اللغة والمعنى والكلمات ، التي تستمد قدرتها من دور التماثل لتمنحنا معطيات جمالية / فنية .

إذ ليس الشكل هو المولد للمواضيع الجديدة ، بل الموضوع المستجد البكر هو الذي يفرض على الفن أن يجد له شكله المناسب .



د. السيد البيرارك

مستويات التعامل مع (واقعة الطف) مسرحياً

درامياً وطرحها على مساحة التعامل الجمالي ، إن هذا لا يعني طبعاً إقتصار الخطاب في المسرح الإسلامي على أحداث الطف بطابعها التراجيدي وإهمال بقية الإرث الإسلامي الكبير الذي يحتوي بدوره على نفس المميزات التي تمتلكها أحداث الطف الشهيرة ، إلا أن الخاصية التي تمتلكها الواقعة تتمثل في ذلك الغور العميق بداخل وجدان الإنسان المسلم ، وقد يتفاوت مستوى التأثير الوجداني من

تمثل (واقعة الطف) ركناً أساسياً من أركان الثقافة الإسلامية التي ينبغي الترويج لها في مستويات الاتصال الجماهيري المختلفة ، كالفنون السمعية والبصرية والاحتفالات الطقسية والمجالس الشعبية وغيرها ، وتوفر تلك الواقعة (مادة) درامية تؤهل الخطاب المسرحي في جوهره الرؤيوي إلى تجديد نفسه شكلاً ومضموناً عبر إستنطاق تلك الواقعة وإستثمارها

الواحد ، ومحمد علي الخفاجي) وآخرين ، فانه يشعر بانتماء حقيقي لهذه الأحداث ، لأنها تعيش في وجدانه الجمعي ، وهذا يحقق أول نسق من أنساق الاتصال مع المتلقي ، كون الأحداث المعروضة أمامه ، جزء من تكوينه السايكولوجي والمعرفي ، ويمكن إجمال مستويات التعامل الرؤيوي في التعامل مع واقعة الطف مسرحياً في التالي :

١- المستوى الواقعي / التاريخي :

هذا المستوى يشكل أحد أهم المستويات الرؤيوية بسبب الوظيفة التعريفية التي يمارسها بالنسبة للمتلقي ، إذ لاشك أن هناك إنقطاعاً معرفياً بين منابع التاريخ الإسلامي الحقيقي والإنسان المعاصر ، بسبب مستويات التضليل المتنوعة التي تمارسها المؤسسات الحكومية بشتى أنواعها بدءاً من المناهج الدراسية المقررة التي يتم تسييسها لصالح أيديولوجيا الدولة مروراً بأجهزة الإعلام التي تمارس نفس الوظيفة ، وإنهاءً بالقطيعة الاجتماعية بين الحوزة العلمية (باعتبارها مركز علوم أهل البيت - عليهم السلام -) والقواعد الشعبية بصورة عامة ، وهذا يعني أن الإنسان المسلم المعاصر يعاني من (تحفيز المنابع) الإسلامية للثقافة ، الأمر الذي يمكن أن يؤدي إلى إبتعاده الكبير عن روح الدين الإسلامي ، ولذلك يأتي هذا المستوى في التعامل مع واقعة الطف مسرحياً ليمارس نفس دور (المنبر الحسيني) من حيث التعريف والتبليغ والتثوير أحياناً ، ولكن ما يهمننا في هذا المستوى بالأساس ، روح الحفاظ على واقعة الطف كأحداث تاريخية حقيقية تقدم دون تحريف أو تزييف ، فهذا المستوى محاولة لإعادة الزمن إلى الوراء - مسرحياً - من أجل وضع المتلقي في زمن الواقعة كما حدثت تاريخياً

إن هذا المستوى الرؤيوي سوف يقوم باستقطاب قطاعات شعبية واسعة خاصة تلك التي لا تجيد القراءة والكتابة - وما أكثرها في مجتمعاتنا - وسيجعل مستويات التأثير الآني والمباشر بالأحداث كبيرة جداً ، كما أود أن أنوه إلى أن المستوى الواقعي / التاريخي في التعامل مع واقعة

طائفة إسلامية لأخرى ، إلا أن ثمة قاسماً مشتركاً بينهما يتمثل في فداحة تلك الواقعة ومأساويتها ، والاتفاق على بلاغة المواقف الإنسانية التي إحتوتها ، لذلك تكون مثل تلك الأمور بمثابة الأرضية المشتركة التي يمكن التحرك عليها لغرض إنجاز خطابات مؤثرة في مساحة أوسع من المجتمع المسلم بطوائفه المتعددة ، وهذا الاختلاف في مستويات التقبل والتأثير يفرض علينا إيجاد صيغ ومستويات مختلفة أيضاً في التعامل مع الواقعة درامياً ، وهذا يعني ثمة تفاوت في مستويات (الرؤيا) على صعيد إنجاز الخطاب .

إن البحث المسرحي والعقائدي يدفع بنا - بالضرورة - إلى إنجاز أربعة مستويات في الرؤيا للتعامل مع واقعة الطف ، وهذه المستويات لا تعني (تابواً) مقدساً لا يمكن تجاوزه بقدر ماهي إطروحات يمكن أن تجز ما هيتهها أو تغادرها بحسب كفاءة التعامل أولاً ، وآليات الإطروحة ثانياً ، ولذلك فإن تحديد هذه المستويات ليس تحديداً إبداعياً يقتضي بالضرورة الالتزام به ، بقدر ماهو تحديد منهجي لأغراض الدراسة والبحث والتنظير ، لأننا نسعى لفتح باب الاجتهاد المسرحي في هذا الميدان البكر بقصد إعطاء الواقعة حقها في مستويات التعامل الجمالي في الدراما ، ولعل الخاصية الأساسية التي تتميز بها الواقعة ، أنها ليست زمنياً ماضياً تحفظه ذاكرة الرواة وصفحات الكتب الصفراء بقدر ماهي ممارسة يومية وجمعية لقيم وتقاليد تلك الواقعة ، ولعل عملية الإحياء المستمر والتذكير المتواصل بتفاصيل الواقعة لا ينسحب على الكثير من حوادث التاريخ الإسلامي ، فليست واقعة الطف حدثاً تاريخياً فحسب ، بل هي إرتباط مصيري بالوجود الإنساني وكيونته وصيرورته التاريخية ، لذلك فإن المتلقي الذي يشاهد خطابات تلك الواقعة ، سواء تلك الخطابات في مستواها الطقسي (التعزية) أو (التشايه) أو تلك الخطابات في مستواها الدرامي كإنجازات عدد من الكتاب العرب الذين عالجوا واقعة الطف مسرحياً أمثال : عبد الرحمن الشرقاوي ، وعبد الرزاق عبد

تواجدها الدائم في المستوى الإنساني العام ، وهذا التراكم للوجود التاريخي منح أحداثها طاقة رمزية كامنة تصلح لإنجاز رؤيا رمزية لها ، من خلال أسطرة شخصياتها ومناخاتها وسموها على الواقع وتحولها إلى (رموز) كونية تبث قيم الشهادة والتضحية والإيثار والثورة ، إضافة إلى القيم السلبية المقابلة كحب الدنيا والركون للظالمين والعدوان على حُرْم الله ، والرغبة الدائمة بقتل بالقتل وسفك الدماء ، فقد أصبحت شخصية الحسين (عليه السلام) رمزاً للإيثار والتضحية ، مثلما تحولت شخصية شمر بن ذي الجوشن رمزاً لسفك الدماء والمعتدي على حُرْم الله ، ومثله شخصية عمر بن سعد ، إذ أصبح رمزاً لحب الدنيا والركون للظالمين ، وهذا الارتقاء الرمزي لأحداث الطف وشخصياتها وقيمها يؤسس المستوى الرمزي في الرؤيا المسرحية عبر اعتماد هذه القيم وبثها على لسان شخصيات وأحداث أخرى مماثلة لأحداث الطف وشخصياتها ، بحيث يصبح تمثل الشخصيات المبتكرة في

الطف مسرحياً ليس (نسخاً) لطقوس التعازي (التشابيه) بل هو صورة درامية لها لأن التشابيه تمتلك خواص الفن الفطري ذي الطبيعة الكرنفالية ، بينما المستوى الواقعي / التاريخي يمتلك خواص ومقومات الدراما المسرحية التاريخية ذات الرؤية الواقعية للأحداث .

٢- المستوى التاريخي / التعبيري :

يجتهد هذا المستوى في إضفاء العديد من التأويلات على المناخ العام للواقعة دون الإخلال بسياقها التاريخي ، أي أنه يقوم بتحميلها معاني مضافة إلى معانيها الأساسية ، أو أنه يحاول الغور في عمق الواقعة من أجل إكتشاف قيم جديدة فيها ، فيطرح مضامين جديدة من خلالها قد يكون لها مساس مباشر أو غير مباشر بزمن المتلقي الحاضر ، إذ تصبح أحداث الواقعة مشروعاً للتأويل الفكري الذي يُقدّم على خشبة المسرح بآليات تحقق الحضور الجمالي لهذا المستوى ، حيث يركز منتج الخطاب (مؤلف - مخرج - ممثل - تقني) على الغور في دواخل الشخصيات واستقطابها بطريقة الكشف الواعي عن مكوناتها ، وتصبح هذه الشخصيات نقطة إنطلاق لطرح مفاهيم فلسفية ووجودية تتعلق بكيان الإنسان ومصيره وكيونته ، بالضبط كما فعل (وليم شكسبير) في تراجيدياته التاريخية ، حينما جعل من ملوكه التاريخيين أقتعة فلسفية لبث أفكاره ورؤياه للكون والعالم ، وهذا التعامل الحي مع هذا المستوى يجعل من (الرؤيا) ترتفع من حدود المطابقة التاريخية إلى حدود التأويل الفلسفي ، فتمنح بذلك أحداث الطف رؤيا شمولية ذات طبيعة إنسانية تؤثر في هويات متعددة حتى وإن كانت غير متطابقة عقائدياً ، وقد أدرك (المهاتما غاندي) هذا المعنى الشمولي لأحداث الطف عندما قال : (تعلمت من الحسين أن أكون مظلوماً حتى أنتصر) .

٣- المستوى الرمزي :

إن عنصر الجذب الأساسي في أحداث واقعة الطف ، هو حضورها الأنبي المتحرك رغم تاريخيتها وهذا يعني



القائم على الإطروحات الليبرالية والماركسية ، حيث يسعى المشروع المسرحي القائم إلى تمثل هذه الإطروحات عبر المفاهيم الاستطالغية (فلسفة الفن) خاصة في الأوساط الأكاديمية وأوساط النخبة المسرحية التي تعتبر الدعامة الرئيسية لمنجز المسرح العربي الذي يميل لمبدأ (الإبتاع) الفكري دون الانتقال إلى مرحلة (الإبداع) بسبب الشعور بعقدة تفوق الآخر الغربي ، بحيث تسعى تلك الإطروحات إلى تكريس تلك العقيدة في المتلقي العربي ، فيصبح الابتعاد عن خصوصية الهوية الإسلامية نتيجة للانقياد وراء هذه الإطروحات التي تتزياً بزي المصطلحات البرافة مثل (المسرح الديالكتيكي) و (المسرح الليبرالي) والتصور العولمي (نسبة للعولمة) للفن ، لذلك بات علينا أن ننظر إلى المسرح الإسلامي وأحداث الطف - بصورة خاصة - من المنظور الحداثوي للفن الذي يتأسس على فلسفة جمالية مقترحة للفن تتبع من أصول الفلسفة الإسلامية ، إذ دون شك ، أن الفكر الإسلامي حاله حال الأفكار الأخرى يمتلك تصوراً معيناً لمفهوم الجمال والقبح في الفن والحياة ومن خلال هذا التصور ينبغي تأسيس خطاباتنا الإسلامية في فن المسرح التي تتخذ (الحداثة) كآلية من آليات الاتصال مع المتلقي ، بمعنى تجديد كل الصيغ والأفكار المطروحة في المستويات الثلاثة السابقة ، إما بدمجها معاً والخروج منها بالمستوى الحداثوي ، أو بإقتراح شكل جديد آخر يعبر عن منظورنا العام لفلسفة الفن الحداثوي .

إن هذه التوصيفات النقدية الأربعة لمستويات التعامل مع أحداث واقعة الطف الشهيرة لا تعني أننا سنهمل أي إبتكارات أو رؤى أخرى سواء تلك التي تتعلق بأحداث الطف أو غيرها من الأحداث التي تعبر عن جوهر الفكر الإسلامي في ممارسته اليومية مع الجماهير ، ومالم يسع الجميع إلى تطوير هذه الأفكار ، فإن فكرنا الإسلامي سيظل بعيداً عن الاستفادة من وسائل الاتصال الحديثة (السمعية والبصرية) التي تمارس دوراً فعالاً في تشكيل الوعي الجمعي للجماهير .

المستوى الرمزي لأفكار وقيم الشخصيات التاريخية تمثلاً يهدف إلى بث قيم جديدة وتقديم خطاب مسرحي يرتدي (القناع الجمالي) كآلية من آليات الإضمار الثقافي ، أولاً ولتسويق هذا الفكر الذي يكاد يكون مُحارباً من قبل الجميع ، وثانياً الارتقاء بهذا الفكر من المستوى (الشعارتي) إلى المستوى (الجمالي) المؤثر ، فتصبح (الرموز) عيّنات جمالية وفكرية تصلح لفك شيفرة الواقع التي يحملها المتلقي بداخله من خلال ممارسة فاعلية الإسقاط المعاصر الذي يمنح المستوى الرمزي هويته التواصلية على مستوى إحداث الأثر في المتلقي .

٤- المستوى الحداثوي :

ربما أهم ما يسعى إليه منظورنا الإسلامي في المسرح ، هذا المستوى الذي نروم تحقيقه العياني على خشبة المسرح ، بسبب أن هذا المستوى سيقترح المشروع الإبداعي

لمسرح الحسيني

تَلُّ الزَّيْنَبِيَّةِ

عماد كاظم العبيدي



الدكنة المخلوطة ببياض

غيوم في طور الطفولة انتشرت مثل أثمار يانعة
وبصدرٍ تعباً بخشوع فردوس اجتاز باب القبلة لسور
مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) لأجد نفسي قرب
جسد الشارع الذي ما زال ينثني بنوم حالم ..
عجبتُ لنفسي ، كيف أضاعت الآن بوصلتها فراحت
تقودني هي بدلاً عني وكأنها مدفوعة بشرع قدر فُصِّل
على مقاسها إذ لم أجد تعليلاً غير هذا حين سحبتني
نفسى جانباً لمسافة تقارب الخمسين متراً وقالت :
هنا قف .. وانظر .. ستجد التاريخ خجلاً ، يحمل على
ظهره قصة ما ترى أمامك . يكفكف دموعه لأنه كان
شاهداً فقط .

ارتعشت أنا ملي وأنا احمل بها بصري وبوجل لأرى ..
فإذا بربوة صغيرة يصل المرء إلى قمته بواسطة عتبات
عدة طويلة ومغطاة بمرمر مائل لونه إلى الرمادي
الداكن وما أن تضع قدمك على العتبة الأولى حتى يخيل
انك تصعد إلى قمة جبل يخترق الغيم .. صرّت اصعد

بالنصف الآخر يا أبي سنحتاج إليه لاحقاً قال الأب
باستغراب ماذا تقصد بذلك ؟
قال الصبي بصوت خفيض : اعني سأعطيك ذلك
النصف عندما تكبر وأرسلك إلى دار المسنين . ساد
الصمت لبرهة من الوقت جاء أبي إلى جدي ووقف
أمامه وهو صامت لا يتكلم لكن جدي فهم ذلك سمعت
جدي يهمس في أذن والدي : لا بأس يا ولدي أنا اعرف
انك لا تقصد ذلك ثم

رداء الفجر يتهدل وسط نسيمات تعشقت مع الندى
... وهناك في الأفق كان قرص الشمس يعلن عن ولادته
من رحم ، محموم ، بحمرة مائلة للاصفر ، باعتبار رسل
بشاراته الضوئية عبر فضاء هادئ زادت زرقه السماء

أحدها يصيبني وحين تحركت قليلاً هوى سيفٌ غادرٌ فوقي فتخلصت منه بصعوبة ..

مسحت وجهي بباطن كفيّ وقلتُ : (يا الله .. نجني من هذا الوهم .. وهم الماضي الذي يطاردني في الحاضر) . دخلتُ سريعاً . فتبدد كل ذلك عندما وجدت نفسي داخل الحرم الذي بدت أرضيته كالبحيرة الصافية بسبب بناؤها المرمرية وقد ارتفعت عدة أعمدة تحمل وقد ارتفعت عدة مقوساً إلى تجويفات ونقوشات متعددة وقد تطعمت كله بتكوينات متداخلة من الزجاج والمرايا صنعت بدقة متناهية حتى إن المرء ليعجب للكيفية التي صمم بها هذا السقف الذي تتعكس منه الأضوية بما يشبه انبعاث الأشعة من بلورة فتصل إلى اتجاهات مختلفة وأكثر ما أثار انتباهي هي تلك الأضوية التي انعكست من السقف وصارت تلتصق على مرمر الأرضية . وكلما تحركت تغيرت مساقط الضوء واختلقت للمعات على الأرض وظهرت أخرى بدلاً عنها .

هل ما أشاهد نشرة ضوئية أم إنها معجزة الخالق في هذا المكان ؟ ربما ..!!

المحبين لآل محمد (صلى الله عليه واله وسلم) فاندفعت أمامي صور امتزجت ما بين الماضي والحاضر صور الأطفال الذي يصرخون من النار التي أحرقت خيام آل الرسول (عليهم السلام) مع صور الأطفال الذين يكون هرباً من بيوتهم التي فجرتها القنابل والمفخخات وكأنني أرى صوراً لنساء آل الرسول (عليهم السلام) حاضنات أطفالهن العطاشى وسط خيام محترقة وصور الأمهات العراقيات الباقيات على أطفالهن الذين أحرقتهم حزام ناسف لواحد من خنازير العصر . صرخت بداخلي (الله اكبر) فهذا المكان واستعدت وعيي من جديد .. صليت قريباً من المحراب ثم خرجت كان قرص الشمس أمامي يتلألأ اصفر معلناً بدء صباح جديد حيث غطى المكان شعاع اصفر أحاله إلى ذهب مصفى فقلت (الحمد لله هذا بلدي بناسه الموالين للعترة الطاهرة ، بلد الذهب حقاً) .

عتبة تلو أخرى ويطرق سمعي إيقاع معركة بالقرب مني ، سهيل الخيل .. وانين الجرحى ..

كادت تلك الإيقاعات تذهب بسمعي من هولها حتى ان قديمي لم تعدا قادرتان على حملي بسبب الرهبة والحزن فيما كنت أحدثهما بحكمة لم افهمها أنا لكي أمدها بقوة المواصلة حتى رأيت العتبات المرمرية وكأنها تحوّلت إلى ارض رخوة ، وكأنني أغوص في بحر من الرمال المتحركة وصرتُ اصرخ بلا شعور (ربّاه أغثني .. لم أتطفل على قدسية الرابية ، إنما جئتُ أفنش عن الروح مني التي قفزت نحو تجلياتها هنا !!) .

وبلحظة زمنها العمر كله أو زمنها ارتداد جفن .. لست ادري !! في لحظة عبرتُ فيها العتبة الحادية عشرة لاقف على مساحة صغيرة كدتُ انزلق من نعومتها التي أضفى المرمر عليها مرآةً يمكن للمرء أن يرى فيها جسده يتحدد أمامه ، وعليه حملة بتأنٍ ليكمل هيامه إلى داخل الحرم المقدس الذي أحاط به من الجانبين عمودان بارتفاع يقارب الستة أمتار حيث ينتهيان بنقوش وتحفريات إسلامية إذ حملا السطح المائل للحرم المتكون من واجهة على هيئة شريط بناثي بارتفاع نصف متر وبطول قرابة الثلاثة أمتار ، كتبت عليها آيات قرآنية وزخارف من الطراز الإسلامي .

وعلى مرمى خمس خطوات من وقوفي استأذنت بصري كي ارفعه قليلاً فاستقبلتني بوابة خشبية مصممة على شكل قبة ومحفّرة بهندسة إسلامية وقد اعتلى جزءها العلوي المقوس تشكيلات رائعة من الزجاج الملون اما الجدران المحيطة بالبوابة فقد تغلفت بالكاشي الكربلائي بنقوش وزخارف وآيات قرآنية تدل على محتويات ما وراء البوابة .

وأثناء ما أبصر دعوت الله ليساعدني على الملمة هواجسي التي تطشّرت . فهل استطيع الدخول إلى الحرم المقدس لأكون على مقربة من البقعة التي تشرفّت بأن تطأها قدم العقيلة زينب بنت فاطمة الزهراء (عليهما السلام) وصار اسمها عند الناس (تل الزينبية) ؟!

لحظتها لمحتُ عدة نبال تتخاطف من أمامي وفوقي ، كاد

خمسة رسائل مجروحة



(كربلاء عام ١٩٧٥)

السيد هادي المدرسي

ههنا كان مصلاً للعصافير

❖❖(١)❖❖

وفيهما يسكر الآن - غراب

وأقيناك كما تأتي العصافير الى العش

آه... من طهر العذاب

المفضل

في يدينا زهرة الموت

❖❖(٢)❖❖

هل نسيناك؟

ورجلانا عليها بصمة من الف دمّل

وعلى الخدين آثار اغتراب

معاذاً الله.. هل تنسى السنونوات عنوان

الخميلة؟

وقبلنا بها كل انحدار

أم ترى ينسى اذان الفجر، أوقات الصلاة!

نحن كنا العاشقين..

إنني اعشق، لا وجه الصبايا الغيد في
أرضك

كانت الأرض الحبيبة



بل وجه البطولة

آه.. إنني اشعر الآن بأني من هواة الـ(كرب)

هذه دارتنا

من اخلص عشاق الـ(بلاء).

تلك نقوش قد رسمناها، على عهد الطفولة

ألأنى من سرايا الأنبياء؟

هذه مكتبتي..

أم لأن الأرض ميعاد جراحات السماء؟

تلك فراشاتي الجميلة

لا يهم..

آه... من حبي الذي يرفض قانون الكهولة

فألذي يعشق لا يسأل عن طعم الجراحات



وأتيئك.. وكان الليل مجروح الظنون

إذا كانت بلون الحب أو لون الشقاء!

وأتيئك.. كما يأتي اليك الخاطفون



آه.. يا ارضي السلبية

وأتيئك.. وكان الوقت في ليل المصيبة

خلسةً زرتك لم أجلس لديك

وتسلقنا الجدار

لم اكن أخشى على نفسي، بل اخشى عليك

ودخلنا غرفة النوم

لم اكن اخشى على موتي!

وكانت عندها معشوقة الروح السلبية

فمن يرهب من موت الرجولة

فاحتضناها..

كنت اخشى ان يراني غاصب الدار فيكويك،

شممناها..

ويكويني عليك.

شقيق الفجر

كاظم ناصر السعدي

على بلّوره تلدُ الحياةُ
فتشرق في العيون الامنيات
وما غير الوضوح له سمات
لتنسب الرؤى والاغنيات
واشراقات سوسنه صلاة
وفي أفق الخيال الذكريات
وتبتهل السهول الممرعات
مباهجه الفصول الحالمات
وفي الاعماق يجتمع الشتات
اليه فالحدائق مزهرات
تبوح بما تخبئه الضلالة
تلونه الضفاف الهائمات
تهندسها المعاني الكاشفات
برغوته تكثفت الجهات
أمن معنك تبتكر الحياة ؟
غناء الروح هدّبه الضرات

تبارك سلسيلك يا فراتُ
يعانق موجه شرفات روعي
بريحان الغموض جرى شفيفاً
يوثث بالندی حلم البراري
كأن طقوس زنبقه دعاء
على أنغامه تصحو الحكايا
نوارسه تُسبّح كل آن
يفيضُ معينه ليضيء كوناً
فضوق السطح تألف المايا
ترفُ حمامة النجوى اشتياقاً
وتمشي الريح حافية عليه
تسافر نحو روعته نشيداً
كريستال الجمال رؤى صباح
تمشّط بالحروف الأخضر حزناً
شقيق الفجر يا نهر التسامي
رحيق الحب في أزهار قلبي

عرش السبب

كفاح وتوت

هذَانِ شَيْدِكَ لِأَبَا
 فِي كُلِّ قَلْبٍ قَدْ رِبَا
 لَكَ فِي فِؤَادِ الْمُصْطَفَى
 عَرْشٌ تَسَامَى فِي الصَّبَا
 فَبِكَى عَالِيكَ وَمَدَى
 طَوْلِ السَّجُودِ تَحِبُّبَا
 يَا سَيِّدِي فَالِكَ الْمَدَى
 هَذَا سِرَّ رَاجِكَ مَا خِبَا
 فَبِكُلِّ لَيْلٍ ضَجَّ بِالِـ
 أَوْهَامِ كُنْتَ الْكُوكِبَا
 وَلِكُلِّ عَصْرٍ عَشْتِ لَالِـ
 عَشِيْقَ صَوْتِ مَا لَهَبَا
 يَا تَيْكَ مِنْهُمْ هَائِمَا
 شَوْقًا وَمِنْهُمْ مَنْ حَبَا
 يَا رُوحَ طَهِيَا ابْنَ خِيـ
 رَالنَّاسِ أَمَا وَابَا
 قَدْ حَاصِرْتَكَ لِنَامَهَا
 مَذَّ أَنْ رَأَيْتَكَ الْأَرْحَبَا
 وَاسْتَهَلْتِ شَرَّ الْفَعَا
 لٍ وَأَنْتِ كُنْتَ الْأَصْعَبَا
 ظَنَنْتِ بِنَجْمِكَ أَقْلَا
 يَا سَاطِعًا لَنْ يَحْجَبَا
 مِنْ شَهْدِ صَبْرِكَ زَلْزَلْتِ
 وَلَقَدْ بَلَغْتَ الْمَطْلَبَا

حرًا مضيت وكل حر خالد
والحر أدرك حينها فمضى إليك ..

من مثل صوتك ساند

من مثل اهلك ..

مثل صحبتك ..

مثل من واساك عند الماء مقتدرا

رماه بكفه

...

..ا

..ع

معين بارد

قمر.....ونهر للوفاء

ويداه قطعنا لينتنفض اللواء

فلأجل حبك يا حسين يكابد

.....

عطشاً..

يصيح الكون:ماء

والبيد تلهبها الدماء

.....

عطش نما فوق التراب

ودم غدا حقلا من الانوار

تعلوه الماذن والقباب

بثرى الحسين وكل شيء يزهر
صدحت ولا أضواؤها تتفجر
ارض الشهادة كي بها يتعطروا
لاذوا به والشوق فيهم يكبر
والارض ظمأى دونه والانهر

هذي الماذن في سماها تفخر
لولاها ما بتسمت لناظرها وما
لولاها ما افترش الذين توافدوا
بحرمن الزوار وهو سفيينة
هو من دم المختار اطلق نهرة

لا يوقف جلد الصخر

... سيل النهر

.....

.....

حسين صوته النهج

به تنجو

بمجد بعده ما قام مجد
جرت تجتاح أزمنة وتعدو
دم فيها إذا ما جار وغد
فمن غير الحسين دما رعد
وهل كالسبط في الثوار فرد
ويا عزا به الانسان يشدو
تصد هديره لوقام سد
وعرش السبط في التاريخ طود

حسين في عروق الكون يسري
سقى الرمضاء من ظمأ دماء
به الأحرار ترقى حين يغلي
وتلهج باسمه الأزمان فخرا
ومن كالشمس يكتسح الليالي
أيافكري عيش لكل فكر
ويانهر يطوف فلا سدود
عروش الأرض كالكتبان تمضي



هجرة الطيور

الإهداء:

(إلى النور الذي أضاء قلب العالم برهة
فاقتلع الجبال الرواسي وأنطق الحجر
والحديد، وفجر بركان الغضب. وإلى كل
قطرة دم طهور سقطت على ثرى التراب
المقدس، حتماً ستصبح في يومٍ ما، سراجاً
وهاجاً ينير الدرب... درب الله، وسيعلم
الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)..

لمحته عند قلب المدينة المقدسة، وقد بدت معالمها
كالأطلال وسط انتشار الغبار الكثيف، وفي ظل هيمنة أشباح
الموت والحرب، وقد جثمت على الأنفاس حيناً كالكواييس
بدياجي ليل طويل قاس، وكادت تخنق روحها الأسيرة، وتفتال
فيها نسغ حياة، ساءلت نفسي بحيرة، وطيور فرح ملونة
كعصافير الحب، راحت تختلج وجلة في فؤادي:

- أحقاً إنه جهاد بن سيد جواد المؤذن صديق طفولتي ؟ أم
انه شخص آخر يشبهه؟!

كانت الأشياء ولم تزل ترزح بتوجسها، عقب تلك الإستطلاعات
العجيبة، وثقيل خطاها التي لا يمكن إخضاعها لقياسات
الزمن العادي، حتى ليبدو الأمر كما لو إن حقياً مرّت، وأجبالاً
زحفت... زحفها البطيء المتناقل، بُعيد برهة من حضوره في

ازدحمت بألاف المعتقلين من شباب المدينة ورجالها، ولم ينجو من الاعتقال حتى الصبيان والشيوخ.

لكنني باللحظة التالية كدت أتراجع جازماً، بأنه لا يمكن أن يكون صديقي هذا الذي يقف قبالي... بل هو شخص آخر، ليس جهاد الذي أعرفه حق المعرفة، منذ كنا صفاراً بنني القصور والجسور من رمل مرطوب في تلك الصباحات الشتوية الداكنة، ومذ كنا نتمرغ بالتراب الحار صيفاً ثم نقفز إلى النهر، لتباغت أجسادنا الغضة برودة المياه، ونحس بتلك الإرتعاشات اللذيذة تغمر أرواحنا بهجة مع نقر من صبية المحلة وشبابها، ونعاود الكرة مرة تلو أخرى دونما كلل أو ملل، وطوال فترة الظهيرة الحارقة الحرارة بعشقنا الفطري للمياه والنهر.

يا له من أمر غريب حقاً، صديقي جهاد جواد؟ ريبب الطفولة وعبق الذكريات، زميل الدراسة ورفيق العمر... وساورني مثل ذلك الشك فيه؟ بل رفيق تلك اللحظة النادرة حينما اصطحبنا والده المرحوم ذات يوم إلى أعلى المثذنة لساعده في بعض شؤونه، ورأينا معالم المدينة والأشياء صغيرة إلى الأسفل، وتعرفنا فرحين من هناك على بيتنا وبيوت أصحابنا في الزقاق، وكنا نصرخ ذاك بيت فلان أو فلان، وأسراب من الطيور البيض الداجنة، تحوم حول أماكنها بمدارات منتظمة، وتخفق بأجنحتها بغبطة، متوغلة في الفضاء الفسيح، ثم شاهدنا مآذن الجوامع تشمخ نحو عنان السماء، وفوق تلك البيوتات القديمة الخاوية، كأيادي متضرعة، تبتهل بالدعاء بطهر السكون، تحيط بها غابات البساتين الكثيفة ورؤوس النخيل، وتسورها كالحزام الأخضر، ومن بعدها تبدأ الصحراء في مشهد للرمل لا حدود له.

أحسست لحظتها بأني أطيّر في الفضاء الفسيح بأجنحة سحرية، ويدنو مني السحاب، فيهتف قلبي صارخاً بفرح: يا للروعة...!

إلا إن لفتات صديقي جهاد المتكررة تجذبني بعنف من علياء الذكريات وصفائها، كأنه يتوجس خيفة من شيء ما، يطارده

ذاكرتي المنهكة، واشتداد حنيني الموجه إليه، وبدا لي كأنه ينبثق من رحم الغياب فجأة، حال وصولي نهر المدينة في هجير تلك الظهيرة اللاهبة، ومواجهتي استغاثاته المريرة، الصارخة بصمت في ضميري بكل حرقة الألم كأنه يستجد العابرين، أن يفكوا وثاقه، وترددت برهة، ثم عدت أهمس لنفسي مؤكداً:

- بلا ريب إنه هو بذاته... جهاد جواد.

بيد إنني شعرت بسيطرة يقين راسخ على هواجسي، رغم إن شيئاً ما، فيه لست أدريه قد تغير تماماً، ورحت صارخاً:

- جهاد... جهاد!

التفت إلي وهو يشهق فرحاً قائلاً:

- أمازلت حياً لحد الآن وقد ظننتك ميتاً؟

عانتقه بحرارة وشدني بقوة إليه، فملاً كياني أريج طيب ذكي كأنه عبق مسك، رجحت بأن النسمات ربما حملته إلينا من الشباك الخلفي لمقام السيدة زينب الحوراء (x)، القريب من وقوفنا عند نهاية سوق الزينية... ثم أحسست بجسد جهاد كأنه ينتفض تحت وطأة انفعال عنيف، ولمحت عيناه غائرتان في محجريهما، وقد برزت عظامهما بشكل مخيف، كان العرق يتصبب منه بغزارة، شدّ انتباهي بعنف غزو المشيب تماماً لشعر رأسه وذقنه الكث المحمل بالغبار الكثيف الذي كان يطوف فضاء المدينة، ويغطي معالمها، مؤججاً قتيله ما بين الفينة والأخرى، فيبدو كالأشجار أو اندلاع الحرائق، حركة الدبابات والمدرعات وتخاطف العجلات العسكرية (الإيفا) و(الجيب) المحملة بالجنود والأعتدة والمعدات، وهي تمرق بأقصى حالات السرعة، حذراً من تعرضها لنيران المجاهدين، وهم يشهرون بوجه نزر المارة بفوهات أسلحتهم المرعبة، كميون جهنمية تنفث الموت، وتظل أصابعهم المرتجفة على قنطرة الزناد، تجذبني يدي جهاد اللتين بدتا لي مضطربتي الحركة، وكأنهما جناحي طير جريح، بعد أن عرفتهما منطلقة الإشارات مع تدفق سيل ألفاظه الهادرة، ولشدّ ما ألمني ذلك، وخمنت في نفسي بأنه ربما يكون خارجاً توأ من جحيم أحد المعتقلات أو زنازين التعذيب، التي

فيغمزني، عندما مرّ اسمي على لسانه، وكدت أن لا أصدق ما سمعت، ثم لذت بالصمت حينما لمحت بأنه مستعد للاستمرار وهو يقول:

- يعني الواقعة الحقيقية ابتدأت من حيث انتهت بتصفية فواتير الضغينة المؤجلة!

هزرت رأسي موافقاً، رغم عدم فهمي تحديداً لما كان يرمي إليه، متسائلاً مع نفسي بخوف وقلق وإشفاق شديد: ابتدأت؟

وقد امتلأت رعباً بما تعنيه البداية من جديد، ثم أردف بضيق وألم، وبدا كأنه يصرخ بيقين راسخ:

- المدينة تنزف عقلها... أفهمت الآن!

رددت دون وعي كامل مني:

- تنزف عقلها؟!

ولم ترجعني من ذهولي، إلا حركة يدها وهما تحاولان حجب وجهه عن جنون وحشية هذا العالم، فيردد من بين نشيجه المتقطع، واختصاص جسده العنيف وهو يجهد في البكاء قائلاً:

- آه... لو تدري صدر من سحقته سرفات الدبابات في تلك الظهيرة اللاهبة؟!

ظل مطرق الرأس طويلاً دون أن يستطيع السيطرة على تدفق سيل الألم، الذي تفجرت حممه كالبركان، وأكاد اسمع تكسر عباراته، وهسيس الإحتمات الحسية المضطربة بصدرة، ثم تراءى لي وكأنه يبكي بدل الدموع دماً، وتتخضب به لحيته، ويسيل من بين أصابعه نحو طهر التراب، ووجدتني بلمحة مخترقاً قسوة المسافات، أسير وحشية المشاهد المروعة لتلك المجزرة، التي حاولت جاهداً دفنها في ذاكرتي لكي أستمر، وتوهمت حيناً بأنني أنجح إلى حد ما، وإنها تموت بالنسيان، لكنها هاهي تنفض عن هولها أتربة الإهمال، وتتوثب شرسة كأنها تحدث للتو... صدى صراخ من دفنوا أحياء

أو يسترق السمع إليه، وسرعان ما يتسرب هاجس الخوف إلى داخلي، ثم تبدأ نوبات القلق وتشنجاته تتناوبني، ويتعالى وجيب قلبي وتلث أنفاسي، لكنه فجأة يرفع عينيه إلى قبة الذهب ومنايرها العالية، وإلى هياكل بنايات وبعض جدرانها الصامدة، رغم نخرها بثقوب الرصاص والشظايا تماماً، ثم إلى مواضع الرصد للجيش، المقامة فوق أسطح البيوت والعمارات، ويصفق براحتيه هامساً بألم:

- الطيور تهاجر!

رفعت رأسي نحو السماء، ولكن حينما ارتد طريقي خائباً، فوجئت بتفرسه في وجهي، كأنه يبحث عن شيء مفقود، بيد إنني لم أرسو بعض الحمامات الرمادية (طيور الحضرة) العائدة من رحلة التشرد والخوف والجوع، من تلك التي كانت تقطن المدينة بأعدادها الهائلة قبل الأحداث، وعادة ما تتواجد بالقرب من الأضرحة المقدسة، منذ مئات من السنين خلت، وهي تحاول أن تجد مهرباً لنفسها من شواظ الشمس اللاهبة، فتندس بالظلال والأفياء، مجاميع وفرادى في السقوف القديمة وزوايا البيوت الخربة المهجورة، ومعها بعض عصافير، وتنام هناك بهدوء، لكنها بغتة تطير مصفحة بأجنحتها بذعر، حينما يدوي صوت انفجار هائل من ذلك الذي يطال مباني المدينة بين الحين والآخر، ويهز أركانها هذا، لكن جهاد أردف بحسرة ضاغطاً على الحروف بشدة:

- هذا اخطر ما يمكن أن يكون!

ركز نظره في عيني بحدة، حتى شعرت برعب يسري ما بين أوصالي من جديد، كشحنة كهربائية لامست جسدي وارتبكت، ولم أنبس بحرف قط، لكنه سرعان ما استدرك قائلاً بلين، مغتصباً ابتسامة مريرة، كأنه يحاول جاهداً طمأنتي بها:

- أتعرف يا تقي ماذا يعني ذلك على وجه الدقة؟

-

لم انتبه كثيراً لفحوى السؤال... بل شعرت بارتياح مفاجئ

الأوان، خالية الوفاض، هرباً من احتدام لضى النيران، وسعير المواجهات، تاركة فيه بيضها، وربما أفرأخها الصفار، لتطالها بدنسها أيادي الجنود وعبثهم، بعد أن اتخذت قيادتهم العسكرية العامة من الصحن الحسيني الشريف مقراً لإدارة العمليات، والقضاء المبرم على آخر جيوب المقاومة الشرسة.

حينئذ لمحت جهاد وكأنه سيتركني ويهيم على وجهه، وبدا الحزن سيل هادر يطفو في عينيه، ثم تطارد نظراته خفقات أجنحة الطيور، وهو يحاول جاهداً تهدئة بركان انفعالاته وترويضها، بعد أن أوشكت قبل حين أن تؤدي بنا إلى مخاطر لا طاقة لنا على تحملها عبر انتشار قوات الأمن الخاص والاستخبارات وأفواج الجيش من الحرس الجمهوري وسراياه في أرجاء المدينة القديمة، واستنفارها لعشرات العيون المتربسة، لمراقبة أدق التحركات والسكنات والنوايا!، لذلك قلت لائماً جهاد بشدة:

- لم تحرق بدمك هكذا، وترهق أعصابك المتعبة فلا تخسر سوى نفسك؟

وسمعته إذك يتمم مع نفسه: (وجعلنا من بين أيديهم سداً من خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون) وينفخ بالاتجاهات الأربعة، كأنه ينشر تعويذته في الهواء، ويكررها مرة تلو أخرى، ويودعها في رحم الأثير، وبفترات متباعدة، بيد إني وبعد صمت ثقيل أضفت بالقول:

- ها قد علمتنا استمرارية المحنة: أن نساير التيار، ونتماشي معه إلى حين.

فجأة رفع عينيه إليّ، وتساءل بسخرية مريرة بفحيح من لهيب:

- ونزيف الدم المتدفق من قلب الحياة!

وبانفعال عاد معاتباً:

- أحقاً لا تبصر طوفان زيف هذا العالم الذي يكاد يلتهم كل شيء... كل شيء!

في المقابر الجماعية، أنين من جرفوا بالشفلات لفتح بعض الطرقات، تتنازع الكلاب السائبة على أحشاء الضحايا، بطون الحوامل المثقوبة بالحرايب، إختصاب الباكرات وقتلهن، نهب وحرق المحلات والبيوت، الأكداس المكدسة من القتلى... صبية وأطفال، ورضع ملفعون بالأقمطة وبجانبيهم رضاعاتهم، نساء وشيوخ افترشوا بأجسادهم أرض الشوارع والأزقة والأسواق والميادين، مطبوعة على وجوههم وأجسامهم، آثار الخطى الثقيلة لأحذية الجنود، وهم يقتحمون المفاصل والثغور، ليحاصروا معاقل الثوار، تحت تغطية جوية من قبل الطائرات المقاتلة (السمتية) بعد أن دكت أرضاً وجواً بوابل القصف الثقيل دكا، والشباب صلبوا على أعمدة المدينة وجدرانها، مقطعو الرؤوس في كرنفال الموت الرهيب، وفي برك لن تجف أبداً، كنهيرات دم متجذر بعمق تاريخ المدينة، ومختصرة عنفوان كل الدماء الزاكية وهي تعبد طريق الحرية.

فجأة سمعت جهاد يهمس إليّ، ليعيدني من بشاعة ذلك الخيال، وينتشلني من مرارة الذكريات قائلاً:

- إنها الكارثة يا أخي التي ما بعدها كارثة!

قلت:

- أجل... والله وان الكلمة لتقف ذاهلة في حضرتها، بل واللغة برمتها.

قال:

- وا أسفاه، النذالة تكرم في هذا الوطن الذبيح، فتطرد الطيور وتشرذ، والأعشاش تهدم، وما علينا إلا أن نصمت... بل وأن نهزج ونصفق إيفالاً منهم بالثشي بنا والشماتة منا!

همست:

- نعم... وما بيدنا أن نفعل؟! فتظرة استنكار كافية ليكون عقابها الإعدام، ولا من يرى وليس هنالك من يسمع!

أشاح بوجهه بعيداً، رافعاً عينيه للأعلى نحو قمة المئذنة، حيث عش اللقالق الذي تركته عائدة إلى موطنها الأصلي قبل

تساءلت :

- أي طوفان هذا؟ أرجوك دعنا من!!

همس بذهول مقاطعاً إياي بغضب شديد:

- دعنا... دعنا... دعنا!؟

قلت بإصرار:

- نعم دعنا يا أخي، ما خسرناه الشيء الكثير ولن يعوض، وكفانا ما خسرنا والنتيجة!؟

قال:

- صبراً يا أخي صبرا فهي لم يأزف أوانها، وهو بلا ريب أت...أت، ولكن ما عهدتك قبل الآن عجولاً، والعجلة من الشيطان.

رددت بنبرة متهكمة :

- صبرا...صبرا، ومن الصبر إلى القبر، لم نشترى الألم دون جدوى!؟

- إذن فأنت شاك، وفي نفسك ريبة ؟

أجبت بسرعة :

- لا ولكن بم تسمي هذه المأساة التي نعيشها!؟

عاجلني وأسأنانه تكاد تجرح الكلمات، وهو يضغطها بقوة، فتتناثر الحروف من بين شفثيه كالأشلاء الممزقة، وهي تقطر دماً رعافاً :

- إن كنت في القلب حقاً؛ فلا بد لك أن تتألم ... بل وتترنف أيضاً، ما هو أغلى من الدم!.

بيد إني ما عدت أريد حتى أن أفهم، قال:

- إذا كانت جذورك ضاربة بعمقها في ظلمات هذه الأرض، وارتباطك لم يقطع، كما الآلاف من طين هذه التربة

الطاهرة المطهرة، بفعل هبوب أعاصير المحن، أو كنت ابناً باراً وانتماءك الروحي إليها حقيقي، بما تعنيه من الروحانيات مقدساتها، فإنك لا شك تحيي معها تقلبات جميع الفصول، ويجرحك بحبة قلبك، بكاء الخير والجمال بجرف بساينها الغناء، والعمد على قتلها عطشاً، والدين بتفجير جوامعها الكثيرة وحسينياتها، وتهديم مشاهدتها المقدسة، وتأخذك العزة لركوع الشموخ في نخيلها (عماتنا)، وتؤلك آلاف...بل ملايين الشظايا والرصاص، المنغرز بصدرها حقداً، وبغضاً لحسينها، ويؤرقك صراخ بكارتها، ويسيل الدم من جراح روحك، وتظل تتزف وتتألم، وتتألم وتتزف، حتى يؤخذ بتأرها، ربما فقط حينذاك تشفى، أو لا تشفى!.

قلت مهوناً:

- هي فصول للمأساة لا تصدق، هذا حق، لكن الأجدى أن ننساها، ونبدأ من جديد، والحياة متجددة ويجب أن نستمر، وانظر الناس حولنا بدأت تطويها سريعاً، وتلحدها بقبر النسيان، وذاك عين الصواب، شفق بألم:

- الناسصواب!؟

فانحنى نحو الأرض بسرعة، ملتقطاً من بين التراب إحدى الشظايا الكبيرة، ورمى بها بقوة نحو السماء، وبرقت تحت وهج الظهيرة اللاهبة كومضة دم، فدوى صوت انفجار هائل هز أركان المدينة بعنف، وطارت من جديد فرادى الحمام الرمادي والعصافير، وهي تصفق بأجنحتها برعب، قال والغضب يزار عبر صوته وإني لأتذكر جيداً ذلك الذي لا يشبه أي كلام سمعته:

- حقاً وذلك ما تراه عين التراب أبداً، لكن لا ولن يتجرأ ليقربها النسيان، لأنها أعظم من النسيان، وهي جزء من ارث مخضب بالدماء، أما أنا فالواقعة ستظل تتجدد بدمي عبر كل يوم وساعة وكل دقيقة وثانية و...و... ووا أسفاه إن مثلك كثيرين، بل ويزداد عددهم يوماً بعد آخر، ثم أردف صارخاً:

- لهذا استفردوا بها واغتصبوها الأندال!

ثم أردف مضيفاً بأسف ممتزج بحرقه:

- لم يبق سوى الجبناء والمنافقون والضالون فهم أيضاً يهجرون بلد فطرتهم إلى حيث تتلقفهم مهاوي الشياطين، ومضاجع الزيف والخيانة، وحانات الخيبة، وإنه كذلك الإيمان يهاجر، والخير يهاجر، والشجاعة تهاجر، والصدق يهاجر، و...و...والكل يهاجر!.

ثم صرخ بجنون مولياً ظهره لي ومندفعاً كالإعصار يطوي الطريق وهو يسعل، كأنه سيصبق أحشاؤه:

- نحن جبناء، أجل جبناء... أيا غضب السماء!!.

فضرب المدينة صوت انفجار هائل كالزلزال؛ ربما كان أعنف من كل التفجيرات السابقة، فاهترت الأرض بعنف، وكادت تسقط الجدران الخاوية على الأثر.

فلم نلتقي بعد ذلك اللقاء كأصدقاء، الحق فإنه تنكر لعرفتي، ولأشياء كثيرة ومهمة في حياته، إذ لفته موجة صمت رهيب، لم أره يكلم، أو يسمع من أحد بعدها أبداً، وقد صدّ محاولاتي التالية بإهماله ونفوره، ومن ثم جرفتي تيارات الحياة العاتية وتعقيداتها المتنامية نحو البعيد، وكنت أراه قرب النهر غالباً، أو أصادفه مصادفة الغرباء للغرباء في أحيان أخرى، مستذكراً حلاوة الأمس اللذيذ، ساعة كنا نهرب إلى النهر للسباحة عند اشتداد قيض الصيف ولهيبه، خاصة حينما يتزامن الحر مع الصيام لشهر رمضان المبارك، فنفاجأ بحشود الناس، أطفال وصبية وشباب وشيوخ، وهم يخوضون في الماء، ولم يبرز من أجسامهم سوى رؤوسهم، ونتخذ مكاناً قصبياً من النهر بمعزل عنهم، نتجاذب فيه أطراف الحديث والأخبار، ويستطيل بنا الزمن دون أن نعي مروره السريع، متمسكين آلام الجوع والعطش، حتى يحين موعد الإفطار، فتفترق كل إلى بيته.

وكنت أرقبه ولأكثر من مرة شاهدته يسبح بذات المكان القديم، الذي كنا نسبح فيه فيما مضى من أيام خوالي، أو يتظهر من أدراجه الروحية، كما كان دائماً يحب أن يقول دائماً، أو يهمس ضاحكاً، ويبقى في الماء لفترات طويلة، ويفسل

لكني وبعد صمت ثقيل لم أجرؤ على كسره، قلت:

- لم تشعر هكذا؟!

- سوف لن يهدأ لي بال قبل أن يؤخذ بحقها من هؤلاء الأوغاد، أو أرحل صوب البعيد كي لا أراهم يندسون تبرها الطاهر بنجاساتهم، وألمحها ترهل بثوب ذلها، وتغور الجراح بروحي أكثر فأكثر، ويطلق قبح قلبي لمسالك أنفاسي واختنق، لأنني وحيد، وغربتي تجعلني أفكر بالابتعاد عن وجه العالم؛ لأدخل صميمه.

قلت بإنفعال... بل كنت بالحقيقة اهمس بألم:

- الكل دفع الثمن باهضاً شاء بذلك أم أبي، وأنت تدرك ذلك جيداً.

صرخ بي بقوة كأني السبب بكل جراحاته:

- أبسط ثمن هي الروح... وروحي دون حبيبتني المقدسة... حبيبتنا!.

وأضاف منكسراً كأنه بدأ يحدث نفسه، أو يروم إقناعها:

- أجل، لقد فعلوا فعلتهم الشنعاء، بمرأى ومسمع منا جميعاً، أما منا، بل داخل حدقات عيوننا، لكي لا يكون عذر لأحد منا بإطلاق تمنيه (يا ليتنا كنا معك) بعد الآن.

ثم أضاف بحزن وسخرية، وخيل إليّ كأن الدموع تتساقط إلى داخله بغتة، كزخة مطر أو رشقة دم هامساً:

- وحسنا فعلتم، فأضعف الإيمان صار الهرب كما يبدو... ربه الكل يتهرب؟!

وبعد زمن استطال كدهر انتابني شعور غريب، وكأن حضورني بدأ يثير فيه ما يشبه الأشمئزاز، همس محوقلاً، ثم سمعته وهو يحدث نفسه، أو شخصاً لا أراه مردداً:

- إنها الردة الجديدة إذن، وبيا لها من ردة، بل يا له من امتحان!.

أعلى رأسه حتى أخصص قدميه من قبل جمع من الجلأوزة بأحذية حمراء نظيفة، ووجوه كالحة مخيفة، يسبقه صوت قرقرة الحديد، بيد إنه بدا لي جميل الوجه كعهدي به، باسماً كطفل بريء، وبشره قد عاد إليه، وهم من حوله يتلفتون بذعر، وفهمت بأنه كان عائد توأً من رحلة اللقاء بجده لإعطائه العهد، قبل أن يقبضوا عليه ويقيدوه بتلك الأصفاد الثقيلة، وقد تشرف بالفعل بلقائه؛ ومسح على رأسه وعينيه، وأهداه فرساً وسيفاً، فيومئً مستبشراً إلى سدره وارقة، معلق بها سيف ويربض تحتها فرس، ومن قربها ينعطف نهر جميل كأنه من أنهار الجنة، يحفّ بالمكان خفق أجنحة الحمام، وأستيقظ فرعاً من تلك الرؤيا، بيد إنني سرعان ما نسيتها، لكنه على حين غرة ظهر بعد تلك الغيبة، ولشد ما كانت دهشتي عظيمة، وبدا لي لحظتئذ كشيخ طاعن بالسن، وجسده مجرد هيكل عظمي، ويشيد لنفسه كوخاً بسيطاً من سعف النخيل، وبعض أغصان الشجر عند إحدى منعطفات النهر البعيدة، وانقطع فيه للعبادة.

وكان صوته الملائكي يسمع كل يوم، تحمله أنسام الفجر اللطيفة، مرتلاً آيات من القرآن الكريم، وقد بدأت بوادر الحياة تدب من جديد ببطء شديد في أرجاء المدينة المقدسة، بعد توقفها الطويل أثناء الأحداث وبعدها، وراحت الطلائع الأولى من الفلاحين بالنزول مع الغبش، كما هو دأبها قبل الأحداث ببعض المحاصيل الزراعية لسوق الخضار، بعباتهم الخاصة التي تجرها الحمير، أو العائدين منه وهم يستبشرون الخير بوجوده بين ظهرانيهم، إلا انه شوهد لآخر مرة بعد أربعين ليلة من ظهوره الأخير، يخرج من كوخه قبل شروق الشمس، وانقشاع الضباب، وهم يلتف بإزارين احدهما على كتفه والآخر حول بطنه إلى الركبتين، ثم يجلس عند النهر طويلاً في وداعه الأخير، كأنه يصفي إليه، أو يستجيب لنداءاته الخفية، ووجهه يضيء وسط ذلك العالم الشفاف كقطر الندى، تغمره روعة الفجر، حيث الفطرة اللذيذة بطهرها، ونقاؤها، وعفافها، متداخلة مع تغريد البلابل، وزقزقة العصافير والطيور الملونة، وهديل الحمام والفواخت، وشتى الأصوات المنسابة مع جريان المياه، وحركتها الدافقة، خاصة

ملايسه فيه، ويلاحق بنظرات عينيه بحزن مفرط، أسراب الطيور المهاجرة، التي كانت تعبر سماء المدينة عند المساءات، أو يتابع في مرآب المدينة الموحد باهتمام شديد، سفر الحافلات ليلاً، والحركة المرية للمسافرين، ويوجب متسكماً الأزقة القديمة والطرق والأسواق الشعبية، متقبلاً أثر الدم المسفوك مكرماً وغيلة بين جنبي المدينة المنكوبة، بمحاولة لجس نبض الأشياء، ليطمئن بأن لاشيء يذهب جفاء، وتماسيح الغدر تغتال فرانسها، وتتصيد صيدها الثمين تحت جناح الليالي المرعبة، دون أن تعكر الوجه الصافي لماء بركة الحياة، لكي لا تثير من حولها الشكوك، أو احتمالات فزع الطريدة وهروبها، فتصطادها بهدوء، وتنزل بها نحو الأعماق المجهولة حيث دهاليز اللاعودة، ووحشية الظلمات لليل يجثم سريعاً على الأنفاس مع غروب الشمس، لكنه لا يوجد سوى بإغفاءات قلقة، حافلة بالكوايس المرعبة، والناس سكارى وما هم بسكارى، ولا تمر ليلة دون المزيد من نريف الضحايا الجدد في سجل الإستنزاف الرهيب، والقائمة تتوالد قوائم من المطلوبين، والأذئاب النتنة يلهثون باقتراف الجرائم، ليعيدوا للسلطة بعض ثقتهم المهزوز، والكل ينتظر بتوجس وخوف وأذانه على الباب متى يطرقوه ويحين الدور عليه.

أما هو فقد اعتادوا رؤيته منتقلاً هنا وهناك بين أرجاء المدينة، وكان على مرّ الأيام، يزداد توغلاً بذاته باستمرار، ويبحر لمرافئ عشقه الأزلي، لكن ما كان يذلهم فيشيع الذعر في صفوفهم ويقصّ مضاجعهم، ويجعلهم يفقدون صوابهم متخبطين بحمأة هستيريتهم؛ مقتل عناصرهم كل ليلة برصاص مجهول يتربص بهم، أو كمائن تترصّد دورياتهم، وتوجه لهم الضربات الموجعة تلو الأخرى ويترنحون بفعلها، ويفرزون أظافرهم المتوحشة، المتعطشة أبداً لمزيد من الدماء في نحورهم، حينما لا يجدون أمامهم سوى الفراغ يهزأ بهم حتى غدا الليل موعداً مع الرعب لجنودهم.

لكنه فجأة اختفى نهائياً من حياتنا، لم يعد لوجوده أدنى أثر كحصاة استقرت عميقاً في قعر النهر، ثم تراءى لي ذات ليلة في المنام، يساق وهو مصفد بسلاسل الحديد من

النسيان، لأنها أعظم من النسيان، وهي جزء من ارث مخضب بالدماء، أما أنا فالواقعة ستظل تتجدد بدمي عبر كل يوم وساعة وكل دقيقة وثانية...و...ووا أسفاه إن مثلك كثيرين، بل ويزداد عددهم يوماً بعد آخر".

"سوف لن يهدأ لي بال قبل أن يؤخذ بحقها من هؤلاء الأوغاد، أو أرحل صوب البعيد كي لا أراهم يدنسون تبرها الطاهر بنجاساتهم، وألمحها ترفل بثوب ذلها، وتغور الجراح بروحي أكثر فأكثر، ويطنق قيق قلبي لمسالك أنفاسي واختنق، لأنني وحيد، وغربتني تجعلني أفكر بالابتعاد عن وجه العالم؛ لأدخل صميمه".

والآن أينعت في مكان الكوخ، سدرة عظيمة أو هي كانت موجودة أصلاً في البستان القريب، تظهر على جذعها آثار أكف، أو بعض أصابع الحناء، وتحتها وضع كوز ماء سبيل للعابرين، وتمتد في ظللالها الوارفة فسحة من الأرض تنتهي مع حدود النهر الصغير، ونقل بأن طائراً غريباً كان يقصد السدرة تلك عند غسق بعض المساءات الحزينة، يطلق الأصوات الشجية، فتجتمع من حوله الطيور، ثم تضج أصوات الزقزقة، وذهب بعضهم إلى إن صوتاً كالأنين يسمع أحياناً أسفلها خاصة لمن يبيت عندها، حينما تسكن الأصوات وتسبب الأشياء، ويعم السكون وإن فارساً مهيب الحضور، يأتي على فرس يوشحه البياض، يقف هنيهة تحتها، ثم يمضي في بعض الليالي المقمرة، ينثر الزهر في خطاه، وتعبق بالفضاء رائحة ذكية، ثم تشيع الفراشات وتهوي عليه لتقبله أوراق الشجر وأغصانها، حينما يمرق برشاقة السهم الخاطف من تحتها في توغله بغابة البساتين الكثيفة، واختفاؤه بين تشابك الأحرار، ومن ثم شوهد بعض الزائرين أخيراً وهم يصلون تحتها، أو يستريحون، تحف بالمكان أسراب الطيور الرمادية، وتخفق من حولهم فيندرون لها الندور.

هامش:

(×) هو المكان الواقع عند حافة التل المشرف على ساحة المعركة والذي وقفت عنده عقيلة الطالبين السيدة زينب الكبرى بنت الإمام علي بن أبي طالب عليهما السلام ترقب الأحداث في واقعة ألتف الخالدة عام ٦١ للهجرة.

صوت (أبو الخضير) بنغماته المتلاشية، ويتراءى كالملاك بين خفق أجنحتها، وهي تهبط عليه مجموعات وفردى، تلتقط الحب من بين يديه بألفة غريبة ثم تطير، وقد أكد أكثر فلاحي المنطقة والمناطق القريبة المجاورة، بأنهم لمحوه مباشرة بعد ذلك، وهو يعبر بساتينهم كالسديم، أو قبضة من ضباب الغيش، إلا أنه سرعان ما يذوب مع إشراقة الشمس، ويزوغ أولى خيوطها الذهبية الدافئة، ممتزجاً بأنفاس الشجر، وإنه حينما يحل؛ يعم الخير الوفير، ويأتي مقدمه بالبشائر، ويشيع خبره بين الناس بسرعة مذهلة، وتحكى قصص بطولية عجيبة حوله في المقاومة، وحصد أرواح الجنود تحت جناح الليالي، ساعة يسلب الكرى إنتباهة العيون، وتتافلها الألسنة بالسرّ بشكل غريب، حتى إن بعض الأطفال الصغار سمعت بذكره يتردد بينهم، وتسيل سيرته على شفاههم البريئة، بكثير من الفخر والتبجيل... بل وإنهم يحلفون بإسمه حينما يدب بين اثنين منهم خلاف بقول أحدهم للآخر: وحق سيد جهاد ليقتنع ويكتّم مطمئناً.

أما صدق تلك الكلمات التي سمعتها منه في ذات ظهيرة بعيدة، فمازلت ترجعها كهوف ذاكرتي حية، دافقة، وبطين عجيب وهو يقول:

" إذا كانت جذورك ضاربة بعمقها في ظلمات هذه الأرض، وارتباطك لم يقطع، كما الآلاف من طين هذه التربة الطاهرة المطهرة، بفعل هبوب أعاصير المحن، أو كنت ابناً باراً وانتماءك الروحي إليها حقيقي، بما تعنيه من الروحانيات مقدساتها، فإنك لا شك تحيي معها تقلبات جميع الفصول، ويجرحك بحبة قلبك، بكاء الخير والجمال بجرف بساتينها الغناء، والعمد على قتلها عطشاً، والدين بتنجير جوامعها الكثيرة وحسينياتها، وتهديم مشاهدتها المقدسة، وتأخذك العزة لركوع الشموخ في نجيلها (عماتنا)، وتؤمك آلاف... بل ملايين الشظايا والرصاص، المنفرز بصدرها حقداً، وبغضاً لحسينها، ويؤرقك صراخ بكارتها، ويسيل الدم من جراح روحك، وتظل تنزف وتتألم، وتتألم وتنزف، حتى يؤخذ بثأرها، ربما فقط حينذاك تشفى، أو لا تشفى!".

"حقاً وذلك ما تراه عين التراب أبداً، لكن لا ولن يتجرأ ليقربها

قصة قصيرة جداً



تأليف: أ.هنري

ترجمة: عباس جودة عبيد الطائي

البطانية

(عندما تبلى ملابسنا أو كتبنا وتصبح قديمة وغير ذي نفع فأننا أما نهملها أو نبيعها فهل يمكن أن نفعل نفس الشيء مع الإنسان ؟)

وسوف يعود متأخراً لذا كان بإمكانني الجلوس مع جدي والتحدث معه لقد كانت أمسية جميلة تحت ضوء القمر وبعد ان انهى بتي وجده تنظيف صحون العشاء جلسا في الشرفة الأمامية لبيت قال الجد :

سأجلب آلة الكمان واعزف بعض الألحان القديمة ولكن بدلاً من آلة الكمان جلب الجد البطانية كانت كبيرة تكفي لشخصين حمراء مع خطوط سوداء

لم يصدق بتي حقيقة إن والده سيفعلها إرسال جده بعيداً عن البيت إلى دار المسنين بعيداً هذا ما يسمونها لحد الآن لم يصدق بتي إن والده يمكن أن يفعلها ولكن وجود تلك البطانية التي اشتراها والدي ذلك اليوم لجدي يؤكد ذلك وفي الصباح سيغادر جدي وهذا يعني إن هذا المساء هو آخر مساء أمضيه مع جدي فقد ذهب والدي لرؤية تلك الفتاة التي يريد الزواج منها

لاسمع صراخهم طوال الساعات لذا فمن الافضل ان ارحل سوف اعزف لك لحناً او اكثر قبل الذهاب الى النوم وفي الصباح سوف احزم بطانيتي الجميلة واغادر اريدك ان تصغي الى هذا اللحن الحزين انه مناسب لمثل هذه الليلة لم يشعر الجد والحفيد لمجيء الاثنان الى البيت الاب والفتاة الجميلة بوجهها المشرق الذي يشبه دمية صينية الصنع لكنهم سمعوا ضحكها قرب الشرفة وتوقف اللحن لم يقل ابي شيئاً لكن الفتاة تقدمت من جدي وقالت : سوف لن اراك ترحل في الصباح لذا جئت اودعك الان قال جدي وعيناه مطرقة الى الاسفل انه لطف منك .

رفع جدي البطانية من عند قدميه وقال للفتاة الا تنظرين الى هذه البطانية قالها بحرج واضح البطانية التي اشتراها لي ولدي لارحل بعيداً بها نعم اجابت الفتاة انها بطانية جميلة ثم تحسست صوفها واعادة كلامها بأندهاش انها بطانية جميلة لابد من قول ذلك ثم التفتت الى والدي وقالت ببرود لابد انها كلفتك الكثير بلع ابي ريقه بالكاد وقال : نعم اردت له بطانية جميلة دخل ابي والفتاة الى داخل البيت تبعهم الصبي دون ان يروه وسمع الفتاة تؤنب وتلوم ابيه على شراء البطانية وقالت الفتاة : على اية حال هو لا يحتاج الى بطانية تكفي لشخصين على الدم في عروق الصبي وتقدم الى ابيه وقال بسخرية : انها على حق خذ يا ابي هذا المقص البطانية الى نصفين نظر الاب والفتاة الى الصبي لفزع صاح الصبي : هيا يا ابي اقطعها الى نصفين واحتفظ بالنصف الاخر .

قال الجد : هذه فكرة جيدة فانا لا احتاج الى بطانية كبيرة نعم قال الصبي بغضب نصف بطانية تكفي رجل عجوز يبعد عن بيته ولكننا سنحتفظ اجهش الجد والابن والحفيد بالبكاء .

متقاطعة الا ترى انها بطانية جميلة قال الجد وهو يمررها فوق ركبته اليس أبوك رجلاً طيباً كي يشتري لرجل كبير مثل هذه البطانية ليرحل بعيداً بها لابد وإنها كلفته الكثير نعم لابد ذلك انظر الى صوفها سوف تدفئني في ليالي الشتاء الباردة كان جدي بتلك الكلمات كمن يحاول ان يخفف وطأة الامر عليّ وعليه وكان جدي يتظاهر بأنه يود الذهاب بعيداً عن البيت الى تلك البناية التي يسمونها دار المسنين حيث يلتقي مع العديد من كبار السن أمثاله لكن بتي لم يصدق اباه يمكن ان يقوم بذلك حتى جاءت الليلة التي اشترى فيها ابوه البطانية.

قال بتي : اوه نعم انها بطانية جميلة ثم قام بتي يجلب الة الكمان لجدته لم يكن بتي من النوع الذي يبكي بسهولة رغم ان عمره اصبح احدى عشرة سنة اخذ الجد الة الكمان ووقف ليعزف فسقطت البطانية على الارض انها الليلة الاخيرة التي يكونا فيها معاً الجد والحفيد .

قال الجد : سأعزف لك لحننا تظل تذكره دائماً لا يزال القمر مضيئاً وثمة نسمة هواء باردة سوف لن اسمع جدي يعزف ثانية وسوف ينتقل والدي من هذا البيت الى بيت اخر ولن يكون بإمكانني الجلوس مع جدي في هذه الشرفة لقد تغير للحن هاك لحناً مفرحاً **قال الجد :** جلس بتي حزيناً وهو ينظر الى الافق ان ابي سوف يتزوج من تلك الفتاة التي قبلته ولمسته بحنان قائلة انها ستكون اماً جيدة له وشعر بتي ان المأ كبيراً يعتريه توقف للحن فجأة **قال الجد :** انه لحن بأس ان الفتاة التي يرد ابوك ان يتزوجها هي فتاة جيدة وسوف يشعر معها بالشباب ثانية اذن ماذا يفعل رجل كبير السن مثلي بينهم انه عشرة في طريقهم وانه مصدر ازعاج لهم ماذا غير كلامي المليء بالاسى والالم ثم ان اولاداً سيولدون وانا لا اريد ان اكون هناك

ذاكرة في مدينة ... لمدينة في الذاكرة



وقفة مع الشاعر
والفنان المسرحي

محمد زمان

حاوره: كاظم ناصر السعدي

س٢ / يشكل الشعر هذا الفن العرق في وجدان الإنسانية شفرة مأكثة في كل تجربة إبداعية ولكن علينا أن نفهم الشعر شيئاً ملازماً للروح المتفردة الشاعر يضي ألماً وتميزاً على الرمز والوزن والصورة الفنية هذا التشكيل قد لا يقارن بشعرية المسرح فالمسرح يقر بضرورة ظهور الحركة والمنظر والصوت والمؤثرات ولحظات الصمت أكثر مما يقتضيه فن الشعر وتقنياته من اظهارات وكأنه يكتفي بحضارة التصويب اللفظي بالدرجة الأساس أي بالمنطوقات اللغوية المحضة التي تدور بأفق ذات واحدة تعبر عن العالم في حين يتموضع المسرح وكأنه هو العالم الموضوعي ويبقى المسرح يحوز على تمظهرات مرئية ومسموعة في خطابه الفني .

• إن شعرية المسرح لا يقصد بها مقارعة الشعر الغنائي حجه اللفظية ذلك إن الحوار الدرامي فيها يتكفل هذه المهمة التصويتية لكنه يضي على اللغة بعداً حوارياً أكثر تعبيرية ووظيفة درامية أكثر كثافة لان مساحتها أوسع وتضم تعددية صوتية وتنوع أدوار وصراعات وحقولاً شاسعة من التظاهرات الحسية الشاخصة.

س٢ / لك شخصيتان متميزتان هما الشاعر والفنان المسرحي ... أيهما أكثر تجسيداُ لذاتك المبدعة وأقرب إلى روحك ومثلك الجمالي؟

• كل الفنون الجميلة محبة وتستهوِي روعي وهي متداخلة والشاعر الحقيقي المبدع يحاول أن يثبت جدارته بالحياة المضيفة بقيم الخير والحب والجمال والحرية بخلقه عالم جديد له معنى كذلك الفنان المسرحي يحاول بخطابه المسرحي أن يعكس العالم الأكبر على خشبة المسرح عبر أفكاره وأسلوبه الفني المبتكر والمتجاوب مع الحداثة فكلما تمادى في اختراقا للساكن والمألوف فانه بالتأكيد سيصل إلى تخوم الإبداع الذي يغير من طبيعة موقفنا من الأشياء ويسلب منها زينها وبهذا يكون الخطاب المسرحي معتمداً على وحدة متجانسة من خطاب أدبي وبلاغة حوارية وفكرة تعبيرية ورؤى جمالية في الوضعية المسرحية والشخصية وتصوير دلالي عبر الحركة والإشارة والإيماء ومكونات العرض المسرحي مجتمعة.

محمد زمان شاعر وفنان مسرحي عراقي معاصر أكد بمنجزه الإبداعي حضوره المتألق في المشهد الثقافي الكربلائي اعد الكثير من النصوص المسرحية الجادة والرصينة والمونتاجات الشعرية الرائعة... عقل مسرحي حدائي وطاقة شعرية خلاقة كان بيته القريب من شارع (صاحب الزمان) في السبعينات والثمانينات من القرن الماضي ملتقى أدباء وفناني كربلاء من الشباب فكان هذا الحوار:

س١/ كان المسرح في ثمانينات القرن الماضي يحتل مساحة كبيرة من اهتمامك فقد أسهمت في تأسيس فرقة (المسرح الجماهيري) واستقطبت مجموعة من الفنانين للعمل فيها وأعددت نصوصاً مسرحية جادة ورصينة مثلت على خشبة المسرح... ما لذي يمثله فن المسرح في وعيك؟

• مرّ المسرح بمراحل وتجارب غنية متعددة شكلت فيما بعد ركائز من المثل والقيم والتصورات التي يستند إليها هذا الخطاب الإنساني المفعم بالحركة والتغيير ولا هذا التاريخ الحافل والمثالي الذي أسهم في إرساء الكثير من رموز المسرح لما تكون وتشكل هذا الحدث الخالد والذي يجسد الالتصاق الحقيقي والصادق بالحياة والحرية والكمال، فإذا كنت منتمياً إلى المسرح فإنك بالمحصلة النهائية تنتمي إلى الفضيلة والجمال والشجاعة وتسعى في كل مشاريعك الفنية إلى تجسيد هذا الانتماء روحاً حية وثابة لتبني كل هاجس نهضوي وفكري يرمي إلى تكريس المشاريع الإنسانية العظيمة.

لذا فلم يكن المسرح بعد كل هذه التجارب وعلى مر الحياة ترفاً فكرياً أو انتماءً وظيفياً فحسب بل كان احساساً كاملاً بالأشياء والواقع ومعايشة حقيقية لكل هموم الإنسان وأحلامه المشروعة وسعيه المستمر لبناء المجتمع الكبير الذي يؤمن برسالته وقيمه الفاضلة وأهدافه النبيلة.

فهي مؤجلة لان توحى بدلالات متنوعة ويمكن أن توظف باتجاهات ورؤى مختلفة لذلك ظهرت أشكال مسرحية متعددة بملامح جديدة ذات آفاق قرائية واسعة خرجت بالعرض المسرحي من القراءة السطحية والأفقية إلى قراءات عمودية متعددة وبفضل هذا الإثراء الدلالي يمكن أن يحقق الموروث الشعبي عنصرى الثبات والتغيير في آن واحد .

• إن تراثنا غني بمفردات الموروث الشعبي لذا كان مصدراً رئيساً تستمد منه الظاهرة المسرحية موادها وإبداعها لهذا فان استعارة واستلهام الموروث الشعبي وتوظيفه كمعالجة للمشكلات الاجتماعية والحياتية الجديدة يتأتى من محاولة إعطائه صورة التقرد وذلك لامتلاكه انساقاً جمالية قادرة على التفاعل للخروج بقراءة جمالية فلسفية معاصرة وطرائق متجددة في التعامل مع الموروث.

س6/ الإخراج المسرحي موقف من الذات والعالم والأشياء بل ومن النص نفسه ... موقف نقدي متحرك وفاعل يولد الإبداع برأك هل إن التأسيس الإخراجي يبتدئ من ممارسة هدم بنية النص الكائنة/القديمة لإيجاد بنية العرض /الممكنة والجديدة؟

• إن الإخراج المسرحي هو بالتأكيد موقف من الذات والعالم والتاريخ والأشياء وموقف من النص ...انه موقف الجزء من الكل والآني من الماضي والمستقبلي والذاتي من الموضوعي فعندما يكون للمخرج موقف نقدي يتوخى الإبداع والمغايرة والإضافة إلى فضاء المسرح إضافة في الكم والنوع معاً فانه لن يكتفي بتفسير النص بل سيعمد إلى وضع بصماته الإبداعية في ضوء رؤيته الفنية الحداثية المبتكرة والمتحركة أي إن تطبيقاته المسرحية لن تكون محاكاة لنص المؤلف بل هي تأسيس لمنظومة عروض جديدة ومغايرة تبتدئ من الضد أي من ممارسة الهدم / الحفر هدم بنية النص الكائنة / القديمة لإيجاد بنية العرض /الممكنة والجديدة.

س7/ تلعب الأدبيات والمرجعيات المسرحية دوراً كبيراً في تأسيس منظومة مرجعيات رؤيوية بتقديم عروض مسرحية متطورة باتجاه تاريخ الشعوب ومرجعياتها الأدبية والتاريخية

س4 / عملية تثير المسرح أدت إلى انتقاله من سلطة النص إلى سلطة مكونات العرض بعدما كان النص في المسرح التقليدي المحور والمرجعية الوحيدة باقتراح إن النص هو معطى مفتوح واحتمال يشتبك مع إبداع المخرج والممثل ... ما طبيعة العلاقة بين النص والعرض المسرحي؟

• إن العلاقة بين النص والعرض المسرحي علاقة جدلية يتحول فيها النص من نظام معين إلى نظام آخر في العرض فالنص يعد المادة الأولية أو العنصر المادي الأول الذي يكون المنطلق لقراءة جديدة هي قراءة العرض ونادراً ما يمر النص على خشبة المسرح من تعديل أو إضافة ففي تجسيد النص يشدد المخرج والممثل على أهمية مراحل معينة في النص ويقلان من أهمية مراحل أخرى فالنص عبارة عن علامات مرصوصة رسماً وغير عاملة إلا بفعل القراءة ومهارة المخرج والممثل في إدراك معانيها والإجابة على ما تقترحه من أسئلة كذلك توجد داخل النص معان توليدية تحيل إلى موضوعات جديدة من خلال تثير بناها الداخلية وإضاءتها.

س5 / يعد المسرح كياناً متكاملًا ويعد الموروث الشعبي عنصراً فاعلاً في هذا الكيان الجمالي ومصداً من مصادر الفكر الثرية بالظواهر الدرامية التي تقبل التمسرح والتشكيل الدرامي سواء على مستوى القراءة النصية او القراءة العرضية ...هل تعتقد إن الفن المسرحي معني بالبحث عن مواطن الجمال التي يتمتع بها الموروث الشعبي؟

• بما إن التراث هو قراءة وترجمة للبيئة والظروف التي نشأ في إطارها ؛لهذا يستلهم المسرحيون الدلالة الجمالية لتوظيفها ببصمة إبداعية خاضعة لاشتراطات القراءة الجمالية المعاصرة التي يعمل المسرحيون على تقديمها في عروض مسرحية متوائمة مع معارف المتلقي المعاصر .

إن تجسد معطيات الموروث الدلالي على أغلب عروض المسرح المسرح التراثية من الطرائق التوظيفية والكيفية التي يتعامل بها مبدع العرض (المخرج) مع المفردة التراثية التي يرسم من خلالها دلالات متنوعة قد يتجه قسم منها إلى إحياء سياسي أو محاكاة لظاهرة اجتماعية وبما إن المادة التراثية مترعة بالرمز

مهرجانه الأول ب كربلاء كان المصادفة الأولى التي انسقت فيها وكنت معروفاً آنذاك شاعراً من جيل السبعينيات وخضت إعداد النصوص المسرحية والمونتاجات الشعرية كوسيلة أفرزت علاقة ثقافية متواصلة بين العشرات من أدباء وفتاني كربلاء من خلال دعمي لنشاط (فرقة المسرح الجماهيري) التي كانت نقطة استقطاب للنشء والخريجين الشباب والتي تحولت بعد عشرة عوام على يدي وفي ذات يوم المسرح العالمي إلى مسرح تجريبي باسم (فرقة مسرح الشبلي) بعد أن أقمت لها خشبة مناسبة في باحة نقابة الفنانين استمر فيها المسرحيون والشعراء مع التشكيليين تجريب هوايتهم الثقافية حتى يوم المسرح العالمي عام ١٩٩٠ حيث بادرت إلى تقديم نسخة من الأرشيف إلى نقيب الفنانين العراقيين آنذاك (داود القيسي) كأخر نشاط لهذه الفرقة بعد زوال خشبتها بسبب زوال مبنى النقابة كله وهكذا ظل شريط تلك الذكريات النادرة حياً في أرشيف نموذج يغني الباحث في تقديم صورة النشاط المسرحي في المحافظات.

وهكذا يمكن القول بان محافظة كربلاء تتوفر لها بعض العوامل الدرامية في ممارسة النشاط المسرحي من حيث ارث المجتمع الكربلائي المرتبط كثيراً بصور متعددة الأشكال عايشها المجتمع من خلال طقوسه وفلكلوره الديني بشكل خاص وقد كانت محافظة كربلاء كبقية المحافظات تجد في مديريات النشاط المدرسي مجالاً لممارسة الأنشطة المسرحية خاصة في الخمسينات والستينات من القرن الماضي حيث أفرزت تلك الممارسات الاهتمامات واللقاءات تياراً للاحتراف المسرحي تكتل في نشاط (فرقة مسرح كربلاء الفني) التي قادها الفنان الراحل (نعمة أبو سبع) حيث كان لوجوده كنقيب للفنانين فرع كربلاء أكبر الأثر في جمع الخبرات الذاتية والموضوعية لعدد غير قليل من الممارسين للنشاطات الدرامية والحفلات والأعراس والموايد وغيرها من الأشكال الفلكلورية .

وفي السبعينات بدأت تظهر المنظمات الجماهيرية الثقافية التي انتشرت في المجال الطلابي والعمالي والفلاحي والتي تركزت بشكل خاص في المسرح الجماهيري الذي استقطب النشء من الخريجين الشباب كهواة في هذا المجال يكمل المجال الاحترافي الذي كان يتمثل بنشاط فرقة مسرح كربلاء .

والفنية... هل يمكن الاستفادة من واقعة الطف وهي مرجعية كبيرة لتقديمها في عروضنا المسرحية ؟

• أرى إن الفن إذا أراد أن يستخرج من واقعة الطف ما يمكن أن يؤسس لمنظومة عرض مسرحي جمالي متطور عليه أن لا يأخذ من الواقعة شكلها والمتن الحكائي السردى المتعارف عليه ولكي يأخذ الاشتغال على الطقوس الحسينية شكله المسرحي الحقيقي لا بد أن يقدم كعمل مسرحي كبير تدخل فيه السينوغرافيا والإضاءة وعملية تحريك وتوجيه الممثل إلى آلية الاشتغال على خشبة المسرح ولا بد أن يتجاوز العرض نص الواقعة (المقتل) بعملية صقل فني أكاديمي ليعطي مديات أكثر تأثيراً بالمتلقي ويرسم القيم الإنسانية والاجتماعية والسياسية التي أراد أن يبيث رسائلها الإمام الحسين عليه السلام من خلال ملحمة كربلاء الخالدة بمعنى لا بد ان تكون رسالة المسرح رسالة حضارية إنسانية تجسد مبادئ وأهداف الإمام الحسين عليه السلام كون المدرسة الحسينية مدرسة حياة شاملة باستطاعتها أن تقدم الحلول لمشاكل العصر المستعصية فالفكر الحسيني هو الامتداد الطبيعي للفكر المحمدي الخلاق إذن لا بد أن يتوفر الخطاب المسرحي الذي يحاول أن يقدم الملحمة الحسينية الخالدة على جميع عناصر الخطاب المسرحي من الناحية الفنية والفكرية بحيث يؤدي إلى الغرض المطلوب وهو إحداث المتغيرات الايجابية التي باستطاعتها إحداث التغيرات النوعية الأهله بالحيوية والباعثة على التفاؤل والأمل بالحاضر والمستقبل.

س٨ / فضلاً عن كونك ذاكرة كربلاء الثقافية بحكم حضورك الدائم والمؤثر في المشهد الثقافي وصلاتك الحميمة بالأدباء والفنانين وإسهامك الفاعل في المنجز الإبداعي فأنت مؤرشف للنجاح المسرحي... ما لذي يوثقه إرشيفك الفني؟

• لعل الأرشيف الذي أعدته ليس مجرد مبادرة شخصية ارتبطت بنشاط معه الواسع النطاق خلال الربع قرن الأخير من القرن الماضي لأننا نجد في كل مفرداته ذكريات حية توثق جيداً وبأبسط الإمكانيات لأهم الجهات والأشخاص الذين رسموا في كربلاء ملامح الصورة المسرحية والشعرية على وجه الخصوص ولعل يوم المسرح العالمي ٢٧/٢/١٩٧٩ ومن خلال



مسرحية (صوت الحسين)

باكورة أعمال فرقة المسرح الحسيني في العتبة الحسينية المقدسة

متابعة : عقيل أبو غريب

التي يمتزج بها فعل التفرج مع المشاركة في العرض ، قد يكون العزاء الحسيني بعيداً عن شكل المسرح نوعاً ما .. ولكن ما نشاهده من تمثيل للواقعة في تجسيد شخصيات ابن زياد والشمر وعمر بن سعد وحرقت الخيام ومسيرة السبايا .. والذي اتفق على تسمية هكذا مشاهد بالتشابه ، هي النواة الأولى لتأسيس المسرح الحسيني والذي نحن بصدد الحديث عن احد هذه الأعمال التي تحاول أن تؤسس لمسرح حسيني ، وان لم يوجد اصطلاحاً تسمية بهذا الشكل ، ولكن ارتأى الباحثون تأسيس تسمية جديدة خلاقة لها مساس مباشر مع ما يقدم من طقوس تمثيلية إحياءً لذكرى استشهاد الإمام الحسين عليه السلام في العاشر من شهر محرم الحرام .

لا شك إن الطقوس الحسينية التي خلدت واقعة الطف ظلت وتأثرها تتصاعد بين ثانيا الزمن وافرزت عن صدقية متناهية في حب الإمام الحسين عليه السلام معتمدةً بذلك على الموروث الشعبي الذي أختزننته الذاكرة الجمعية للمحمة الطف الخالدة ، وأخذت بالعمل على توظيف متقن لمشاهد الملحمة وأحالتها إلى مشاهد شعبية تؤدي طقوسها في الساحات والشوارع وغالباً ما يقوم هذا العرض باستقطاب المتفرجين من عامة الناس في مشاركة العرض من خلال حملهم للرايات أو إشعال الشموع والمسير بها في الشارع او المشاركة في قراءة القصائد الحسينية والأناشيد وغيرها من الفعاليات

عام ٢٠٠٩ قامت مجموعة من فناني كربلاء المقدسة بتمثيل مسرحيتي الشعرية الثانية / سفير النور .. مسلم ابن عقيل والتي قام بإخراجها الفنان علي الشيباني وفي نفس العام صدر كتابي / نظرية المسرح الحسيني وهو من إصدارات العتبة العباسية المقدسة ، والذي أذعونه الى تأسيس مسرح حسيني رسالي حضاري يجسد مبادئ المدرسة الحسينية الخالدة التي تمثل مبادئ الإسلام الأصيل ، لنشرها في أرجاء المعمورة لتقتدي البشرية بها كونها الجديرة القادرة على إيجاد الحلول الجذرية لمشاكل العصر إلا أنني اعتبر إن التأسيس الحقيقي للمسرح الحسيني المبارك حصل عندما تبنت العتبة الحسينية المقدسة / مشروعنا الرائد / متمثلة بسماحة الأمين العام الشيخ عبد المهدي الكر بلائي الذي آمن إيماناً مطلقاً بهذا المشروع الحضاري الرائد كونه نافذة مهمة تطل بها مبادئ الإسلام الأصيل الإسلام الحسيني المحمدي على العالم ..فقد أمر سماحته بتأسيس وحدة المسرح الحسيني / مرتبطة بمكتب سماحته مباشرة وكذلك أمر بإصدار مجلة المسرح الحسيني _ هذه المجلة الرائدة التي ستغطي الجانب النظري بالإضافة إلى الجانب التطبيقي التي تقوم بتنفيذه وحدة المسرح الحسيني / من خلال فرقها الفنية التي ستقوم بتقديم باكورة أعمالها مسرحية صوت الحسين عليه السلام وهي مسرحيتنا الثالثة ومن إخراج الفنان مهدي هندو حيث سيقوم بتمثيلها كادر فني متخصص من ابرز فناني المحافظة ضمن فعاليات مهرجان ربيع الشهادة العالمي الذي يقام سنويا في الأسبوع الأول من شهر شعبان المبارك ، وبهذا نحقق حلم كبير من أحلامنا المشروعة التي لا نريد من خلالها إلا التقرب إلى الله تعالى ونشر مبادئ الإسلام الإنسانية ومحاربة كافة التحرفين والمرتزقة الذين دأبوا ومنذ زمن طويل على تشويه مذهب آل البيت الأطهار .. ولكن ((يمكنون ويمكر الله والله خير الماكرين)) صدق الله العلي العظيم والحمد لله رب

أُتسَلح بهذه المقدمة البسيطة للخوض في مجال مسرح كبير بفكره وتسميته لكنه لم يصل بعد الى غاية ما يصبو إليه من فعل للحركة المسرحية الحسينية وذلك لقلّة التجارب المكتوبة له وكذلك التجارب التي تم تنفيذها على خشبة المسرح والتي تمكن المشاهد من الحكم عليها وتقييمها ، حتى يستطيع النقد بعدها من تصنيفها ووضعها في المكان المناسب لها في التجارب المسرحية المتعارف عليها .

ونحن اليوم بصدد تناول تجربة رائدة جديدة هي الثالثة من نوعها بعد مسرحية صوت الحر الرياحي وسفير النور مسلم ابن عقيل ، هي مسرحية (صوت الحسين) للشاعر رضا الخفاجي والمخرج مهدي هندو وشارك في تجسيد شخصياتها نخبة من الفنانين هم كل من:

جمال عبود الطائي ، وصفي جاسم ،منعم السعدي ،هاشم حسون فريد ،محمد الموسوي، محسن الأزرق،حسن النعماني، وآخرين ، وهي ضمن سلسلة كتبها الشاعر للمسرح الحسيني ابتدأت بمسرحية الحر الرياحي ولا انتهاء على ما يبدو لهذه السلسلة المسرحية الكبيرة بأفكارها ومضمونها وهي في رأس مؤلفها الشاعر الحسيني رضا الخفاجي لتكون بعد حين في متناول القراء والمشاهدين .

أثناء عملية التدريبات التقينا بالمؤلف الشاعر رضا الخفاجي حيث قال عن المسرحية والمسرح الحسيني:انه حلم راودني في منتصف السبعينات من القرن الماضي ، تحول إلى حقيقة كبيرة باهرة في عام ١٩٩٨ عندما قدمت فرقة مسرح كربلاء الفني ، وعلى قاعة الإدارة المحلية مسرحيتي الأولى ضمن سلسلة المسرح الحسيني / صوت الحر أرياحي التي قام بإخراجها الصديق الفنان عقيل أبوغريب الذي كان من أوائل الذين وقفوا معي لانجاز هذا المشروع الرائد وقد قام الفنان علي الشيباني بمساعدته في إخراج المسرحية وبعد سقوط النظام الدكتاتوري وفي

العالمين .

وكان للمخرج مهدي هندو رأياً حول تسمية المسرح الحسيني وما يتعلق باختيار النصوص لهذا المسرح وعلاقته بالمسرحية (صوت الحسين) الذي وقع عليه الاختيار لإخراجها باعتبارها باكورة أعمال فرقة المسرح الحسيني حيث قال :

- من خلال التسمية واقصد المسرح الحسيني يتوجب علينا اختيار نصوص تتطابق والقيمة الدرامية لهذا المسرح فهناك مواصفات أو ميزات النص المسرح الحسيني تختلف عن النصوص الأخرى المقدمة إلى الأشكال المسرحية الأخرى ، حيث إن النص هو أساس المسرح والعمل المسرحي ، ونص مسرحية صوت الحسين هو النص الذي يتوافر على قيم درامية فيها مقومات المسرح الحسيني الذي يترجم موضوعة الإمام الحسين عليه السلام وقضيته الإنسانية والأخلاقية والكونية لذلك كان هذا النص حضوراً درامياً وتأكيداً مهماً للدرامة الحسينية .

وعن سؤالنا حول الرؤية الإخراجية لمثل هكذا نصوص ملحمية مهمة على الصعيد الشعبي واقصد بما يتوق إليه الإنسان البسيط الذي يحمل بفطرته حب الحسين عليه السلام وكذلك ما يراود حلم المثقف من أفكار قد يستبطنها من هكذا مسرحيات لإيصال صوته إلى ابعاد نقطة في هذا الكون حيث أكد هندو :

- إن أبعاد الرؤيا الإخراجية تتمحور حول إبراز حالة الإنسان في اتخاذ موقف ثابت ومهم في حياته بعد أن يرى علامات الحق شاخصة أمامه وكان هذا من خلال التركيز على شخصية الراهب في هذه المسرحية واستخدام التكنيك في المزاجية بين ما يعتمر نفس الراهب مع الحقيقة الماثلة أمامه.

أما من ناحية المعالجة الدرامية للنص ، فكانت هنالك



عدة معالجات منها ما طال التشكيل الحركي ومنها ما طال حوارات النص نفسه . وأضاف إن قضية الإمام الحسين عليه السلام قضية كونية وقضية مهمة حصلت وتحصل في كل زمان ومكان وقد استطاع مؤلف المسرحية الشاعر والمسرحي رضا الخفاجي من التأكيد على هذه المسألة ومحاولة إظهار العلاقة التاريخية بين الماضي والحاضر من خلال العديد من الحوارات التي تكشف الامتداد التاريخي لهذه القضية المهمة. كذلك حاولت أن ابرز هذا الجانب أيضا من خلال الرؤيا الإخراجية التي عملت عليها في توضيح وتأكيد ما كتبه المؤلف .

وما يميز هذا النص عن غيره هو القيمة الدرامية العليا في إبراز مظلومية الإمام الحسين عليه السلام من خلال الحوار الدائر بين شخصية راهب الدير ورأس الحسين عليه السلام والتحول الكبير في تلك الشخصية من خلال إعلان إسلامها على الفور بعد القناعة بأفكار ومبادئ الحسين عليه السلام الإسلامية و الإنسانية على حد سواء والعكس بالعكس وعن شخصية الراهب وما تحمله

وكان جوابه :

- إن شخصية الراهب شخصية واعية شخصية باحثة عن الحقيقة تحاول أن تكتشف سر ما يحدث فهي تتقصى وتساءل وتحلل كي تصل إلى كنه الحقيقة ليحدث التحول وهي في سيرها في هذا الطريق إنما تعبر عن الفعل الخلاق والتأثير الكبير الذي أحدثته واقعة كربلاء من خلال بعدها الفكري والإنساني ، فالشخصية عندما تعلن إسلامها فإن القضية الحسينية قد أعطت ثمارها على مر العصور وتبعث رسالة لكل الأمم بان الحسين عليه السلام هو للعالم اجمع ولكل الأحرار التواقين للحرية وإحقاق الحق وبهذا يكون فعل الانتصار قد تحقق وان النصر دائما هو للحق والخزي والهلاك للظالمين .

قد تتوفر بالتشابه موضوعات درامية بإمكانها ان تصمد على خشبة المسرح .. وقد شاهدنا وشاهدتم في أيام عاشوراء العديد من الهيئات والمواكب الحسينية التي طورت من فعل التشابيه إلى الفعل المسرحي وقامت ببناء خشبة للمسرح على الرصيف وقدمت عليها عروضاً بسيطة بأفكارها ولكنها مميزة بشكلها الجديد

ونحن معكم بانتظار عرض مسرحية (صوت الحسين باكورة أعمال فرقة المسرح الحسيني التي ترعاه الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة وهي الحاضنة الأم لجميع الفعاليات التي تخدم فكر الإمام الحسين عليه السلام .

مانشيتات:

• **المخرج مهدي هندو** : نص مسرحية (صوت الحسين) هو النص الذي يتوافر على قيم درامية فيها مقومات المسرح الحسيني .

• **الفنان كفاح وتوت** : إن شخصية الراهب التي ألعب دورها في المسرحية شخصية واعية وباحثة عن الحقيقة.



من تفاعلات وإرهاصات فكرية جوهرية حدثنا الفنان المسرحي المبدع كفاح وتوت الذي يقوم بتجسيد هذه الشخصية المركبة حيث قال :

- إن النص المسرحي (صوت الحسين) مبني على أساس فكري تجسده شخصية الراهب المؤطرة بإطار إنساني تحمل جملة من الأحاسيس والتعاطف الكبير مع القضية . فمن خلال تطورها المدون على الورق تتجسد معالمها بشكل جلي وقد حاولت جهد الإمكان أن اقترب منها بواسطة الأداء المعبأ بالانفعالات الواعية المحسوبة الانفعالات التي حاولت أن تجسد هول المصاب وخسة القتل والظالمين وعظمة وجلال شخصية الإمام الحسين عليه السلام كقيمة إنسانية عليا وقائد أكبر ملحمة عرفها التاريخ التي تجسدت من خلال التضحيات الجسام والصبر الاسطوري دفاعا عن قيم السماء .

إذا ما هو دور الراهب وهل بإمكان الشخصية أن تحقق فعل الانتصار للحق من خلال إسلامها في النهاية .. ؟ كان هذا سؤالنا .



الشيخ محمد باقر المجلسي



إطلالة شوق

(١)

سيدي يا أملاً أخضر سيظل أبداً يدغدغ أفئدة المؤمنين، ويلامس شغاف قلوب المحرومين، ويطبب بأنامله العلوية حرقة الأم المنكوبين... المجروحين بسهام الحقد الأسود، والضعيفة الصفراء، ويزق الصبر في نسغ الأشياء، ويسقي الأفئدة الحرى بمصل الانتظار الوردى؛ فيبزغ من بين فرحنا الغامر... بحلول موعد اللقاء الميمون القادم -لا محالة - ظل دمة، تشرق في مآقينا، ونحن ننظر إلى وطن تحاول أن تمزقه، فتعذب بروحه نصال خناجرهم المسمومة، وهم يتميزون غيظاً من خروجه معافى من بين ركاب الحروب والطفيان؛ فينفض عن جسده رماد الاحتراقات كلما كادوا له ويطيرون.. يطير كالمنقاء..!

(٢)

وطن يا سيدي.. يقف الآن وحيداً في وهاد الوحشة كجذك الحسين، عطشاناً لحريره فتحاصره ذئبان الفلاة، كواسر تهيجها رائحة دمه المسفوك غدراً؛ فتغمرهم النشوة إذا ما رأوه في بحر الدم يغرق... يغرق، أو تتناهش أوصاله النيران فيحترق يحترق! لأنهم يبغون لحلمه الأبيض، أن يتمزق بين مخالبيهم، وان يتحوّل جسده إلى مجرد أشلاء ممزقة تطوّها حوافر غدرهم الهمجي، ويترك ثلاثاً في رمضاء القطيعة اللاهب دون غطاء.

(٣)

سيدي يا مولاي.. يا حلم المظلومين، وترتيلة غدهم المشرق، وبلمس جراحاتهم النازة قيحا؛ عراقك قد ظنوه مجرد حمل وديع غرّ، ذهبى لونه يغري السارقين!، ولا يدرون إنه كالطود، لا يمكن أن يحنيه تراشق سهام حقدهم الأسود، وجعجة إرهابهم الأعمى.. بل لا يمكن أن يعطيهم بيده إعطاء الدليل، أو يقرّ لهم إقرار العبيد، لأنه استوعب درس التضحية والإباء من واقعة كربلاء.

(٤)

يا سيدي يا مولاي، يا فضاء أزرق.. أزرق تسيح فيه النظرات التعبى، لطول الانتظار الدامي على وقع خفقات قلوب متلهفة لفجر الحق، وحلول اليوم الموعود، وأزوف اللحظة المشرقة في عتمة ظلم الإنسان لأخيه الإنسان! يوم لا ظلامه بعده، ولا خوف، ولا قلق، ولا هم يحزنون، وساعة لا سلطة أو سلطان فيها إلا للحق والحقيقة.. بل لا سيادة إلا للعدل والجمال والمحبة.

(٥)

يا مولاي يا أبا صالح.. يا فرحا مجنحاً يسمو فوق تلؤل الأحران، الرابضة فينا منذ أن فتحنا أعيننا على مأساة هاويل المقتول بخنجر قاويل ظلماً، ومذ وجدنا أنفسنا بين أنقاض هذي الحياة الدنيا، اجل.. فإنها فانية، فان كل ما فيها وما عليها؛ لكن المسكين... المسكين من أغوته بجمال براقعها الزائفة، وبهرجها الخداع، ومعسول وعودها الكاذبة؛ لذا فخائب من رجاها، خاسر من تمسك بها، وباطل كل مسعى لمن أصبح وأمسى وكانت اكبر آماله.

(٦)

سيدي... يا سيدي ومولاي.. يا ظل ملكوت الله في الأرض، وآخر تجلياته فينا، وكمال مشيئته العليا في الحياة الدنيا، إنا إليك نتوجه، وصوبك ترنو أعيننا، وناحتك المقدسة تهفو أفئدتنا، ونحن نستبشر فرحاً، فنحتفي بوجودك الميمون بيننا، ويغمر البشر أعماقتنا... بل أعماق كل مؤمن ومؤمنة، في مشارق الأرض ومغاربها... فيعمّ الابتهاج بالفرح الغامر ملائكة السماء الحافين بالعرش، والمسيحين بحمد الرحمن في انتظار اليوم الموعود.

(٧)

يا سيدي.. ومولاي هاهو يتجدد في الأفئدة الملهوفة أمل الخلاص، فأنهم يرونه بعيداً.. لكننا نراه قريباً بحول الله، فيتعاطف الشوق فيها لظهورك المبارك، جعلنا الله من الشاهدين له، والمستشهادين فيه نصراً لولي الله القائم المؤمل، منقذ البشرية من الجور والظلم، وإحياء لدين جده العظيم منقذ البشرية من الجاهلية والضلال، وانتقاماً من المارقين عن السبيل القويم؛ سبيل الله ساعة تضيق الأرض بما رحبت بالمجرمين، فيغدو يوم المظلوم على الظالم، أقسى من كل عصور الجباورة والطفاعة والظلمة، الباغين علواً في الأرض، فيقولون: يا ليتنا كنا تراباً!.



إعلان

إنطلاقاً من محاولة الفهم الأوسع لمديات النهضة الحسينية المباركة، عبر الإشغالات الفنية والأدبية الخلاقة، والمتسامية عن محدداتها الزمانية والمكانية؛ تدعو هيئة تحرير (مجلة المسرح الحسيني) الأدباء والفنانين وجميع المهتمين بالشأن المسرحي، للتواصل معها، من أجل بناء صرح ثقافي واعد، تحسبه رائداً في مجاله، لإصدار مجلة متخصصة تعنى بالإبداع المسرحي الملتزم عموماً، والمسرح الإسلامي الحسيني خصوصاً. وأملنا كبير في الاستجابة الواعية من قبل جميع مبدعينا الكرام.

"هيئة التحرير"